

58

روايات عالمية للجيب



تأليف: ستيفن كينج
ترجمة وإعداد:
د. أحمد خالد توفيق

نشر على المكتبة

المؤلف



(ستيفن كينج Stephen King)
من جديد ! هل ما زلنا
بحاجة إلى معرفة ستيفن
كينج بعد ما قمناه في هذه
السلسلة ثلاث مرات ؟ يشعر
بعض قراء هذه السلسلة
بأن ذات أنه صار فردا من
الأسرة، والحقيقة هي أن
هذا الكاتب هو عميد كتاب
الرعب المعاصرين وأهمهم،

وقد صار اسمه ماركة مسجلة تكفي رؤيتها كي تبتاع
الكتاب أو تشاهد الفيلم . وإن كان لم يُقدّم في السينما
بشكل موفق حتى اليوم، مما جعله يجرب كتابة السيناريو
بنفسه، بل ويظهر في بعض الأفلام ويخرج بعضها .

ولد في (بورتلاند) بولاية (مين) الأمريكية عام
١٩٤٧ .. معنى هذا أنه يقترب من الستين اليوم، وفي

روايات عالمية للجيب

سلسلة جديدة، تقدّم لك أروع ما يذخر به الأدب
العالمى، فى مختلف صنوفه ..
من الألغاز البوليسية إلى الرواية الرومانسية ..
من عالم المغامرات إلى آفاق الخيال ..
من الفروسية إلى دنيا الأساطير ..
ومن الشرق إلى الغرب ..
وإلى الحضارة ..
وإليك ..

و.نبيل فاروق

سن السابعة كتب أولى قصصه وعشق أفلام رعب الخمسينيات ككل مراهق أمريكي فى الواقع . سينما مسوخ الخمسينيات تركت أثرها لدى كل من احترف مهنة الرعب هناك .

عمل مدرساً للغة الإنجليزية وراح يجرب كتابة قصص مرعبة ، كان يتخلص منها فى القمامة غالباً ، وكاد يتخلص من قصة اسمها (كاري) لولا أن استنقذتها زوجته من صندوق القمامة وأرسلتها إلى إحدى دور النشر ، فكانت المفاجأة أنها قبلت ، ونال عن نشرها ٢٥٠٠ دولار .. هكذا قرر أن يتفرغ للأدب .. وفى عام ١٩٧٦ يقرر (برايان دى بالما) المخرج العظيم تقديمها فى فيلم ، ومن ذلك الحين تربع اسم (كينج) على عرش الرعب ولم يبرحه قط .. ولعله أكثر الأدباء شهرة وثراء فى عالمنا اليوم ..

أصدر (كينج) العديد والعديد من القصص والدراسات حتى إن ملاحقة عناوينه مستحيلة فعلاً ، وعالمه يزداد تعقيداً حتى إننى صرت أجد عسراً فى فهم أعماله الأخيرة (الساحر والزجاج على سبيل المثال) .. لقد أصدر مجموعات قصصية تحت اسم مستعار

هو (باكمان) ، منها (المسيرة الطويلة) و (أرفع) و (المنظّمون) و (الهارب) و (أشغال طريق) .. ويقال إن سبب هذا هو خشية الناشر من ألا يستوعب السوق كل إبداعات هذا الشلال المتدفق .

عالم (كينج) مميز جداً .. فهو يهوى حياة الأسر المتوسطة فى البلدان الصغيرة خارج المدن .. من النادر أن تقرأ له قصة تدور فى مدينة كبرى .. غالباً مسرح الأحداث هو ولاية (مين) مسقط رأسه .. هناك بلدة هائلة يحل بها الشر الذى هو انعكاس لنفوس سكانها .. ووحوش كنج متنوعة ثرية يصعب أن تلم بها جميعاً .. إنه من الذين احتفظوا بخطوط اتصال مفتوحة مع مخاوف طفولتهم ، وهو يستعيدّها بسهولة تامة .

من الأشياء المهمة كذلك لدى (كينج) عمق ثقافته وولعه بتشريح الشخصيات ولهذا نعتبره أدبياً عالى المستوى قرر أن يحترف هذا الفن بالذات ، وبهذا أضاف رقيّاً واضحاً لأدب الرعب ، وقد قدم عدة دراسات تحلل الخلفية السيكولوجية لأدب الرعب منها (عن الكتابة) وهو مقال طويل جداً عن تقنيات الكتابة للرعب . قليلون هم كتاب الرعب الذين حاولوا أن

يشرحوا أساليبهم ويفهموها .. لعل أهمهم (لايفرافت Lovecraft) العظيم ، الذى أفادنى كثيراً مقالته عن (الرعب الخوارق فى الأدب) والذى قد أترجمه يوماً ما فى هذه السلسلة .

للقصة الحالية هى من مجموعة (كينج) (الرابعة بعد منتصف الليل) ، وهى من المجموعات الناجحة جداً .. مشكلة (كينج) أنه بوسعك أن تترجم عنواناً مشهوراً له ، مثل (تالقي) أو (كريستين) أو (كارى) أو (هو) أو (صائد الأحلام) لكنك تصطدم بأن الناس تحفظ الفيلم الذى قدم عن الرواية جيداً ، لهذا اخترت هذه القصة التى أعتقد أن شهرتها محدودة وإن كان نالها يرونها جيدة جداً ، وأنا أشاركهم هذا الرأى بالتأكيد .. قمت فى الربع الأخير من القصة ببعض الحذف للضرورة الذى لم يتلف جودة القصة أو هذا ما أمله .. إنه الخيار القاسى المعتاد : أترك القصة كما كتبها (كينج) لكن لا أترجمها كذلك ، حتى لا تتحمل مسئولية كهذه .. أو احذف منها بحكمة وقمها لقارئ العربية لذى من الخسارة ألا يقرأها .. أنا أختار دوماً الحل الثانى ، فما رأيك أنت ؟

د . أحمد خالد توفيق

تمهيد من (ستيفن كينج) :

فى الصباح الذى بدأت فيه هذه القصة ، كنت أجلس إلى مائدة الإفطار مع ابنى (أوين) . لقد صعدت زوجتى للطابق العلوى كى تستحم وتلبس ثيابها ، وتم إعداد حاجيات الساعة السابعة الحيوية من بيض مقلى والجريدة . كان (ويلارد سكوت) الذى يزورنى خمس مرات فى كل أسبوع يحكى لى عن عجوز من (نبراسكا) بلغت العام الرابع بعد المائة . مجرد صباح آخر عند (كينج) ..

سألنى (أوين) إن كنت سأذهب إلى المركز التجارى اليوم ، لأن هناك كتاباً يريد أن أحضره له لتقرير مدرسى .. لا أذكر الكتاب الآن لكنه من طراز تلك الكتب التى لا تجدها فى المتجر أبداً .. إنه دائماً لم يعد يطبع أو سيعاد طبعه أو أى شيء لعين آخر ..

نصحتة أن يجرب المكتبة المحلية ، فهى جيدة .. كنت واثقاً من أنه لديهم .. قال لى كلمتين لكنهما كانتا كافيتين لاجتذاب انتباهى .. قال لى :

« شرطة المكتبة »

أزحت الجريدة جانباً وضغطت على زر إسكات الصوت فى جهاز التليفزيون . وطلبت من (أوين) أن يتفضل بتكرار ما قال . قال بعد تردد إنه لا يريد الذهاب للمكتبة لأنه يخاف شرطة المكتبة ..

قلت له إنه لا يوجد شيء اسمه شرطة المكتبة .. حكى قصة من تلك القصص التى تتوارى فى لا وعيك .. لقد سمعها من عمته عندما كان فى السابعة وسهل الخداع ، ويبدو أنها لم تفارقه من حينها ؟!

كنت أذكر قصة مماثلة من طفولتى عن الرجال الأقوياء الذين يأتون لبيتك لو لم ترجع الكتب المستعارة فى وقتها .. هذا سيئ .. لكن ماذا لو لم تجد الكتب المستعارة عندما يحيط بك هؤلاء ؟ ماذا سيفعلون بك ؟ كيف سيعوضون الكتب المفقودة ؟!

هكذا وجدت نفسى أفكر فى شرطة المكتبة فى الأيام التالية ، وهكذا ولدت القصة التى ستطالعها الآن .. هكذا تبدأ القصص معي .. لقد سميت القصة (شرطى المكتبة) ، لكن لم تكن عندي أدنى فكرة عن مسار القصة . فى البداية خطر لى أن تكون قصة مضحكة .. الفكرة ذاتها مضحكة .. ألا ترى هذا ؟

هنا لاحظت شيئاً كنت أعرفه منذ زمن ، هو أن الكتابة نوع من التنويم المغناطيسى الذاتى .. من ثم تتبع مخاوف الطفولة التى كنت تحسب أنك نسيتها .. وتعود مفزعة كما كانت ..

كنت أحب المكتبة فى طفولتى .. لم لا ؟ إنها المكان الوحيد الذى يستطيع فيه صبي فقير مثلى أن يقرأ ما يريد من كتب ، لكنى إذ كبرت أدركت أننى كذلك كنت أهابها .. كنت أهاب أن أضل طريقى بين أكوام الكتب .. أهاب أن أنسى فى ركن مظلم لأبقى سجيناً طيلة الليل .. أهاب أمينة المكتبة بشعرها الأزرق وعينى القط خلف عويناتها وفمها عديم الشفتين .. عندما تمس يدك بيدها الباردة طويلة الأظفار قائلة : ش ش ش ، لو نسيت أين أنت وتكلمت بصوت عال .. نعم . كنت أخاف شرطة المكتبة ..

هنا حدث لى ما حدث لقصة (كريستين) .. انتهى المرح بعد ثلاثين صفحة ، وبدأت القصة تتحول لرعب صارخ يرتاد أماكن مظلمة زرتها كثيراً ولا أعرف عنها أى شيء .. لقد وجدت الشخص الذى كنت أبحث عنه أيها القارئ وحاولت أن أصوره لك ، لكنى لم أوفق كثيراً لأن يدي كانتا ترتجفان وأنا أحاول ذلك ..

الفصل الأول

الخطبة

١

فيما بعد قرر (سام ببيل) أن كل شيء كان غلطة لاعب الأكروبات الأحصى .. لو لم يفرط في احتساء الخمر في الوقت الخطأ لما وقع (سام) في هذه المشكلة . ليس سيئاً بما يكفى أن الحياة تشبه جسراً ضيقاً فوق هاوية ، وعلينا أن نمشي فوقه معصوبى الأعين . هذا سيئ لكن ليس بما يكفى .. أحياناً يدفعنا أحدهم كذلك .. لكن هذا حدث فيما بعد .. فقبل أن يظهر شرطى المكتبة كان هناك لاعب الأكروبات الثمل ..

٢

في مدينة (جانتشان) كان آخر جمعة في الشهر هو يوم الخطب في قاعة (الروتارى) المحلية . وفي شهر مارس من عام ١٩٩٠ كان أعضاء نادي الروتارى سيسمعون (جو) المدهش .. لاعب الأكروبات صاحب السيرك الجوال .

دق جرس الهاتف على مكتب (سام ببيل) للعقارات والتأمينات في الرابعة وخمسة دقائق من عصر الخميس ، فرفع (سام) السماعة لأنه مدير المكتب وموظفه الوحيد . لم يكن ثرياً لكنه سعيد .. وقد اعتاد أن يخبر الناس أنه لم يقتن (المرسيدس) بعد لكن سيارته الفورد تؤدي عملها جيداً ..

- « (سام) .. هنا (كريج) .. لاعب الأكروبات قد دق عنقه ! »

- « ماذا ؟ » -

- « أنت سمعت .. لاعب الأكروبات دق عنقه قللعين »
فكر (سام) بعض الوقت ، ثم قال :

- « هل مات ؟ » -

- « لا .. لكن ربما دنا من ذلك .. إنه فى المستشفى وقد التف عشرون رطلاً من الجبس حول عنقه .. قال لى (بيلى) إن لاعب الأكروبات جاءه فى حفلة الصباح (الماتينية) ثملاً كظربان .. حاول أن يجرى شقبة خلفية فهو خارج الشبكة على عنقه .. قال إنه سمع صوت تهشم العنق وهو فى مقاعد المتفرجين »

- « أخ ! »

- « لست مذهشاً على كل حال .. (جو) المدهش ؟ أى اسم هذا للاعب سيرك ؟ إن الموقف كقطعة من القنورات فوق الخبز المقدس .. لن يكون هناك خطيب فى الحفل .. »
 تمنى (سام) لو كان قد التصرف فى الرابعة وترك آلة الرد على المكالمات تعمل .. كان هذا سيعطيه بعض الوقت للتفكير ..

لكن (كريج) واصل الضغط عليه :

- « فكرنا أنك قد تأتى لتملأ الفراغ .. »

- « ماذا تعنى ؟ لا أستطيع عمل شقبة واحدة و ... »

- « بل تتكلم عن أهمية الأعمال المستقلة فى حياة البلدات الصغيرة .. (سام) .. أنا لست فقط رئيس لجنة

الخطابة .. بل أنا اللجنة ذاتها منذ رحل (كينى) وكف (كارل) عن حضور الاجتماعات .. (سام) أنا بحاجة لعونك .. يجب أن تأتى لتكون خطيب الحفل غداً .. ليس لدى سوى خمسة أشخاص أثق فى قدرتهم على إلقاء خطاب »

- « لكن عملى هو كتابة وثائق التأمين وحين لا أفعل ذلك أبيع المزارع .. معظم الناس يجدون عملى مملاً ومن لا يجدونه مملاً يجدونه مثيراً للفتيان »

لكن (كريج) كان متأهباً للقتل ، لذا قال فى إصرار :
 - « أنت تعرف أنهم سيكونون ثملين بعد العشاء ولن يتنكر واحد منهم حرفاً مما تقول .. فقط أريد أحمق يقف ويتكلم نصف ساعة وقد انتخبك .. أنت مدين لى »

- « حسن .. حسن .. لم لا تنهى المحادثة ؟ لا بد من كتابة خطبة »

- « اكتب ما تريد .. لكن تذكر أن العشاء فى السادسة والخطبة فى السابعة والنصف »

ووضع الساعة وهو يشعر ببركان من الحمض يصعد فى معدته .. المعدة التى كانت هائلة منذ خمس دقائق ..

٣

لم يذهب (سام) هذه الليلة للعب البولينج كما كان ينتوى ، بل أغلق مكتبه عليه .. وجلس على المكتب وأمامه ثلاثة أقلام رصاص ومفكرة وعلبة تبغ ، ونزع قابس الهاتف .. ثم كتب العنوان :

« الأعمال فى المدن الصغيرة شريان الحياة
للأمريكيين »

قرأ الاسم بصوت عال فراق له .. لا .. ربما لم يرق له لكن يمكنه تحميله على كل حال . وبدأ يكتب ...

٤

فرغ (سام) من تلاوة خطابه فدفن لفافة التبغ فى المطفأة ونظر متسائلاً إلى (ناعومى هجنز) :

- « ما رأيك ؟ »

كانت (ناعومى) شابة حسناء من (بروفيريا) .. وهى مدينة على بعد أربعة أميال غربى (جانتكشان) ..

هناك كانت تعيش فى بيت آيل للسقوط مع أم آيلة للسقوط بدورها . وكان المتراهنون فى المدينة يتراهنون حول أيهما سيسقط أولاً : البيت أم الأم .. وكانت كاتبة اختزال بارعة تمر على أكثر من عميل تجارى لتكتب خطابه .

قال لها :

- « لا تخشى من الحقيقة .. »

لكنه كان يعتقد أن الخطبة جيدة فعلاً .. وقد بدأ يتضايق من فكرة أن الجميع سيكونون ثملين ولن يهتموا بما يقول ..

- « بالعكس .. اعتقد أنها خطبة ممتعة .. لكنى أراها .. لنقل .. جافة .. »

كان هو مرهقاً لأنه سهر حتى الواحدة صباحاً فى هذه الخطبة فقالت مقترحة :

- « اذهب للمكتبة وابحث عن كتاب أو اثنين .. كتب فيها .. لنقل .. نكات مثلاً أو أشعاراً وطنية أمريكية .. »

شعر بتقلص فى معنته .. الأمر بدأ يزيد على الحد ..
هل يجرى بحوثًا من أجل خطبة فى نادى (روتارى) ؟
إنه لم يقصد المكتبة قط ..

- « هل المكتبة فيها شيء عن النكات المناسبة
للخطب ؟ »

- « بالتأكيد ستجد شيئًا كهذا .. »

راح يفكر . وبدأت الفكرة تروق له .. بعض توابل
على الخطبة ربما تحسنها وربما تدفعه لارتداد المكتبة
بعد أعوام من التجاهل السعيد .. على كل حال المكتبة
هى المكتبة .. يمكن دومًا أن تسأل أمينة المكتبة عما
تريد ..

قالت له الفتاة :

- « لكن يمكن تركها كما هى فعلى الأقل سيكونون
ثملين ولن يسمعوا شيئًا .. »

لكنه كان قد قرر أن يمضى ما بعد الغداء فى المكتبة ..

الفصل الثانى

المكتبة

١

كان (سام) قد مر على المكتبة مئات المرات خلال
حياته فى البلدة ، لكن هذه هى المرة الأولى التى ينظر
لها فعلاً ، وقد أدرك شيئًا غريبًا هو أنه يكرهها بمجرد
النظر .. النوافذ ضيقة والباب غريب الشكل مع السقف ..
كل هذا جعل مدخل المكتبة يبدو كوجهه (روبوت)
حجرى مقطب .. هذا طراز مميز للمبانى فى (أيوا)
وقد أطلق على هذا الطراز اسم (الغرب القبيح) ..

لكنها مجرد مكتبة .. ليست أقبية المستنطقين .. لا شيء
يبرر الحموضة التى شعر بها فجأة ، من ثم دس فى فمه
قرصًا معالجًا لها .. أنت قد وافقت على إلقاء خطاب
فى نادى روتارى متواضع وليست الأمم المتحدة ..
فلماذا لا تنسى الأمر وتعود للمكتب ؟ كان يعقت
اجتماعات الروتارى ويسخر منها ، لكنها كانت تمتاز
بأنها المكان الذى يسمح بعمل علاقات .. علاقات مع

أشخاص يمكنهم أن يمنحوك ثلاثة ملايين بمكالمات هاتفية .. لهذا تحضر الاجتماعات يوم الجمعة .. ولهذا يهتم (كريج) بالأمر .. لأنك ترغب في أن يلاحظك هؤلاء الذين يحركون الأمور ويهزونها في البلدة .

سيكون الجميع ثملين لكن بعضهم لن يسكر .. وعلى الأرجح سيكون هؤلاء الذين لن يسكروا هم الأشخاص الذين يهتمك رأيهم فيك ..

لكنه لاحظ شيئاً غريباً .. لا توجد نباتات على جانبي بناية المكتبة .. لكن ما معنى هذا ؟ تسلق الدرجات ووقف أمام الباب ..

بدا له المكان مهجوراً .. قبض على المقبض وراهن نفسه على أنه سيكون مغلقاً .. لا بد أنهم يفلقون عصر الجمعة .. شيء ما أراحه في هذه الفكرة .. لكن المقبض ترحزح ووجد (سام) نفسه يدخل إلى قاعة لها أرضية على شكل الشطرنج . وفي وسط المدخل وجد حاملاً يحمل لافتة ، تقول :

الصمت !

فقط الصمت .. وليس (الصمت من ذهب) أو (الهدوء من فضلك) ..

شعر في هذه اللحظة أنه في الصف الرابع الابتدائي ، وأن المعلمة تتأديه لتسأله مسألة صعبة .. نظر حوله في توتر متوقفاً قدوم أمينة مكتبة سينة الطبع لتري من هذا الأحمق . كف عن الذعر .. أنت في الأربعين .. زمن طويل بفصلك عن الصف الرابع الابتدائي يا صاحبي ..

مشى في قلق متجهاً إلى المدخل .. كانت هناك كرات زجاجية تتكلى من السقف العالي ، لكنها لم تكن مضاعة .. كانت الإضاءة تأتي من نافذتين تطلان على السماء .. وفي يوم مشمس يمكن لهما أن تجعلا المكان بهيجاً .. لكن يوم الجمعة هذا كان معتم الإضاءة ..

شعر بأنه دخل عالماً لا ينتمي له .. عالماً لا ينتمي لهذا الذي يعرفه ويحبه أحياناً ويمقتة أحياناً .. لكنه يأخذه كقضية مسلم بها .. الصمت ثقيل كالبطانية باردة كالثلج ..

هناك كتب تغطي كل الجدران وسلام من الطراز الذي يتحرك على عجلات مطاطية .. وثمة لافتة تحدد فترة الاستعارة بسبعة أيام ..

كانت هناك كاميرا ميكرو فيلم صغيرة على المنضدة ، فلم يبد أن هناك رجلاً أو امرأة .. كانت هناك لافتة اسم صغيرة تقول (لورتر) .. لكن لا يوجد مستر أو مس (لورتر) هنا .. شعر بتوتر وتمنى لو كان قد عاد إلى مكتبه .. تذكر أغنية قديمة من طفولته تقول : لا صخب ولا مرح .. لقد بدأ اجتماع الكويكرز* ! لو أظهرت أسنانك أو لسانك فعليك دفع غرامة ..

مشى إلى نهاية الممر فوجد باباً عليه لافتة تقول : « كتب الأطفال » . كان الباب مغلقاً وعليه صورة تظهر (ذات الرداء الأحمر) تواجه نثياً يلبس ثياب الجدة .. وكان للهلع على وجه الفتاة بينما التزبد يميل من شللى للنثب .. الصورة كلها توحى بأن النهايات السعيدة لكل القصص الخيالية مجرد كذبة . فتح الباب فزالت كل مخاوفه ..

(*) جماعة دينية أمريكية أنشأها (جورج فوكس) وكنت تنادى بالسلام ، إلا أن طابع احتزازهم المتكرر أثناء الصلاة منحهم هذا الاسم الذي يعنى (المهترون) ..

لقد توفي أبوه وهو صغير السن وكانت أمه عاملة فلم يكن يراها إلا أيام الأحد تقريباً .. وكان يذهب إلى المكتبة .. الآن يستعيد هذه المشاعر في مزيج من الحنين والألم ..

إنه عالم مضاء بشكل مبهر .. أضواء فلورسنت من السقف تطل على مناضد صغيرة تراصت إليها مقاعد مناسبة للأطفال . فى هذا العالم يصير الكبار غرباء حشربين .. لو حلونوا الجلوس لرفعوا المناضد على ركبهم .. سوف يهشمون جمجمهم لو انحنوا ليشربوا من نافورة الماء فى ركن المكان . السقف منخفض أكثر مما يريح الكبار لكن ليس إلى درجة أن يخنق الأطفال .

لا توجد كتب كنيية التجنيد ولكن توجد صفوف من الألوان البراقة الصارخة . هنا يصير د . (سويس Seuss) ملكاً وتصير (جودى بلوم Blume) ملكة .. يستعيد الشعور القديم بأن الكتب تتوسل لك كي تمسك بها .. تفتحها ..

هناك صورة لكلب لطيف على الجدار كتبت تحتها أصدق حقائق الحياة : من الصعب أن تكون طيباً .. نظر (سام) إلى اليسار فرأى صورة جعلت البسمة تموت على شفتيه .. صورة سيارة سوداء تندفع

بسرعة خارج بناية مدرسة ومن وراء نافذتها يطل وجه طفل مذعور يصرخ .. ووراء عجلة القيادة خيال مظلم لرجل كبير مخيف .. وتحت الصورة كتبت عبارة :
- لا تقبل توصيلة من الغرباء !

بالطبع على الأطفال ألا يقبلوا توصيلة من الغرباء ، ويجب أن يتعلموا هذا بوضوح .. لكن هل هذه هي الطريقة المثلى لتعليمهم هذا ؟! كم طفل قضى أسبوعاً من الكوابيس بفضل هذه الصورة !

كانت هناك صورة أخرى لطفلين مذعورين يقف أمامهما رجل يلبس معطفاً وقبعة .. لابد أن طوليه لا يقل عن مترين بينما ظله يسقط عملاقاً على الطفلين .. عينا الرجل تتوهجان في ظل قبعته بينما هو يمسك شارة في يده .. والعبارة تحت الصورة تقول :

- « لحرص من شرطى المكتبة ! أعد الكتب في موعدها »

فجأة ! سمع صوتاً من خلفه يقول :

- « مرحباً بك .. »

هكذا استدار بسرعة متأهباً للقتال مع تنين المكتبة الذى قرر الظهور الآن ..

٢

لم يكن هناك تنين .. فقط امرأة مكتنزة فى الخامسة والخمسين ذات شعر أبيض ، تدفع عربة صغيرة عليها كتب ، وقالت :

- « أحسبك تبحث عنى .. هل أخبرك مستر (بيكام) بمكتبى ؟ »

- « لم أر أحداً قط »

- « إن لابد أنه ذهب لبيته .. لا يدهشنى هذا فى يوم الجمعة .. إنه يأتى ليكنس المكتبة ويقرأ الجريدة .. فهو الفراش .. لكنك تعرف كم أن جرائد الجمعة هزيلة ! »

- « أعتقد أنك أمينة المكتبة ؟ مس (لورنر) ؟ »

- « وأنت (سام بينلز) ؟ العقارات والتأمين .. هذه لعبتك ! يؤسفنى أنك لم تلق أحداً .. نحن اثنان فقط هنا لأن العمدة قد خفض نفقات المكتبة .. فقط نصير ثلاثة فى وقت خروج المدارس ؛ لأن الأطفال هم أهم عملائنا وأكثرهم إخلاصاً »

بدأ يشرح لها مشكلته .. إن خطيب الحفل قد حطم عنقه وعليه هو أن يلقي خطبة الروتارى الليلة .. كانت تصفى له باهتمام لكنه لم يستطع أن يرتاح لها .. كان هذا غريباً بالنسبة لرجل بيزنس مثله يتعامل بحرارة (وإن كان بسطحية) مع كل الناس ..

- « كتبت الخطبة وقرأتها تلك الليلة التى تقوم بالاختزال لى .. و ... »

- « (ناعومى هجنز) على ما أظن .. »

- « هل تعرفينها ؟ »

- « نعم .. تأتى لتأخذ الكتب الرومانسية من عندى .. تقول إنها لأمرها لكن أعتقد أنها تقرأها بنفسها .. إنها السكرتيرة الوحيدة هنا ويبدو أنها الشابة التى تتكلم عنها .. »

ابتسم لهذه المعلومة .. إن (ناعومى) لها عينا من يقرأ القصص الرومانسية مرأً على كل حال ..

- « (ناعومى) ترى أن الخطبة جافة وأن على أن أضيف لها شيئاً من كتاب ما .. »

روايات مصرية للجيب .. روايات عالمية ٢٧

- « إذن أعتقد أنك تبحث عن كتاب (رفيقى الخطباء) .. »

- « هل فيه نكات ؟ »

- « فقط ٣٠٠ منها .. »

ثم أمسكت بيده تقفاده إلى الخارج ، قائلة :

- « من هنا يا (سام) .. سوف تنتهى مشاكلك حالاً .. فقط أمل أن تزور مكتبتنا بشكل طبيعى بعد هذا من دون حاجة إلى مشكلة فى كل مرة .. إنها صغيرة لكنها ممتازة »

واقفاده إلى القاعة الواسعة الكنيبة فاضاءت عدة مفاتيح ليغمر ضوء مبهج المكان ..

- « لا تؤاخذنى .. إن الجو يكون كئيباً من دون أضواء هنا ، لكن العمدة يحدث صخباً حول تكلفة الكهرباء عندنا .. يمكنك أن تتخيل ذلك »

ودخلت لتفتش بين الرفوف عن الكتاب .. وقف (سام) شاعراً بأنه ما زال فى الصف الرابع .. صبى معاقب فى الصف الرابع لذا لا يستطيع اللعب مع أصحابه .. الأغرب أن المكتبة خالية تماماً .. لم يتوقع

أن تكون مزدحمة لكنه توقع على الأقل أن يرى رجلاً على المعاش يتصفح جريدة .. حتى مستر (بيكام) قد فرغ من الجريدة وعاد للدار .. لأن جرائد الجمعة تكون هزيلة كما تعلم ..

غريب أنه لم يحب هذه المرأة اللطيفة قط .. لكنه يعرف أن السبب هو الملتصقات التى رآها .. أنت لست مستعداً لتحب أى شخص يعلق ملتصقات كهذه فى مكتبة أطفال ..

نظر للجدار فوجد عبارة مقتبسة من (إمرسون) تقول : لو أردت أن ترى كيف يعامل الرجل زوجته وأطفاله فلتر كيف يعامل كتبه ..

لم ترق له العبارة لأنه كان يفترض أن الرجل يعامل زوجته وأطفاله أفضل قليلاً من الكتب .. مهما كان الأمر ..

هنا عادت مس (لورتر) ، وقالت وهى تبتسم :

« اعتقد أننى وجدت ضالتيك .. »

فى الحقيقة لم يحب ابتسامتها ، ثم عرف أن السبب هو أن عينيها لا تبتسمان أبداً ..

وتناولته كتابين ، أحدهما كان (رفيق الخطباء) والآخر كان (أكثر الأشعار شعبية لدى الأمريكيين) .. الكتاب الأخير قامت باختيار أشعاره امرأة تدعى (هيزيل) تزعم أنها وضعت أصابعها على نبض حياة الأمريكيين . نظر للكتاب فى شك ، فقالت المرأة :

« نعم .. تبدو عتيقة فطررت لكنها كتب ممتازة صدقنى .. مثلاً صفحة ٦٥ من هذا الكتاب - إن لم تخفى للذاكرة - فيها فصل بعنوان (الإلهام) .. وهو مخصص للخطباء المبتدئين .. إن مقطوعة صغيرة من الشعر سوف تلتصق بذهن الناس حتى لو كانوا ثملين .. سوف تجد فى الفصل الثالث خطة للحصول على اهتمام مستمعيك .. تليينهم .. ثم تنعيمهم .. ثم السيطرة عليهم .. »

قال (سام) لنفسه : يبدو هذا كتيباً لتعليم زير النساء (الجرجولو) .. لكنه قال لها :

« فقط لنا تساعل .. جئت هذه المكتبة لغرض معين ، وهاتذا قد ظفرت بما أريد بالضبط .. كم مرة يمكن أن

يحدث هذا فى الحياة ؟ كم مرة ظفرت بقطع اللحم التى
تريدونها بصف من الجزار ؟

- « سأعتبر هذه مجاملة .. »

- « إنها كذلك .. »

- « أخشى أن هذا لن يغير حقيقة أنك مدين لى
بدولارين .. »

- « لماذا ؟ »

- « هذه تكاليف استخراج بطاقة استعارة للكبار لكنها
صالحة لمدة ثلاثة أعوام .. والتجديد بخمسين سنتاً ..
هل هى صفقة ؟ »

- « تبدو كذلك لى .. »

- « إذن اتبعنى من هنا لنهى الإجراءات »

ملأ البيانات التى طلبتها منه ، فقالت له :

- « كان يجب أن تكون متزوجاً .. »

- « ومن قال لك إبنى لست متزوجاً ؟! »

- « نفس الطريقة التى عرفت بها لئنى غير متزوجة ..
لا يوجد شيء فى الإصبع الثالث الأيسر ! والآن دولاران
من فضلك »

ثم استخرجت له بطاقة ذات لون برتقالى فقع ووقعت
باسمها تحت بياناته .. لاحظ أن اسمها الأول
(أورديليا) .. بدا له اسماً جميلاً وغير مألوف ..

قالت له ، وهى تصور البطاقة على جهاز الميكروفيلم :

- « يمكنك الاحتفاظ بالكتب لأسبوع واحد .. لأنها من
قسم (المراجع) .. هذا قسم لتكرته بنفسى للكتب التى تطلب
بالحاح .. تكلم من إرجاع لكتلين قبل السلاس من إبريل »

وفجأة خيل إليه أنه يرى شيئاً عجبياً .. للحظة بدا
كأن عينى (أورديليا لورتر) تلمعان .. كأن هناك عملتين
فى عينيها ، وقالت باسمه :

- « وإلا اضطررت لإرسال شرطى المكتبة فى لترك »

٤

للحظة تلاقى عيناها فخيّل لـ (سام) أنه يرى (أرديليا لورتز) الحقيقية، فلم يكن هناك شيء جذاب أو ناعم فيها. فكر في أن هذه المرأة خطيرة ثم استبعد الفكرة، وقد فسر لها بالجو الكئيب وتوتره بصدد الخطبة.

على الباب قال لها :

- « ثمة ملحوظة بصدد تلك الملصقات المعلقة في غرفة قراءة الأطفال .. »

- « آه .. تعنى شرطى المكتبة و(سام) الساذج ؟ هكذا يسميه الأطفال لأنه ساذج وركب السيارة مع شخص غريب .. »

- « هذه الصور .. تبدو لى مفزعة خاصة حينما يراها الأطفال .. »

- « لكنها فعلة .. ألا ترى هذا معنى ؟ لست أنت أول من انتقد هذه الصور .. لست أول شخص يسأل لم ينبج أطفالاً يبدى هذا التطبيق .. »

كثرت لهجتها توحى باللوم .. بأنه حصل على ما يريد ثم قرر أن يتسلى بانتقاد طريقته في إدارة المكتبة ..

أردفت المرأة :

- « لقد أجرينا استفتاء بين الأطفال من رواد المكتبة للعام الماضى .. هذا جزء مهم من عملنا .. اتضح أن الفيلم المفضل لدى الأطفال هو (كابوس فى شارع إلم - ٥) وأفضل فرقة غنائية تدعى (المسدسات والأرهار) .. أفضل قصة قرعوها كانت تدعى (أغنية البجعة) .. قصة مرعبة كتبها رجل يدعى (روبرت مكامون) .. هذه القصة قرأ الصبية كل نسخة منها حتى تحولت إلى خرقه .. وحتى النسخة التى قمت بتجليدها سرقها صبي شرير .. »

ثم ضمت شفيتها ، وقالت :

- « عن نفسى لم أر أى جزء من (كابوس فى شارع إلم) .. ولا يمكن أن أقرأ قصة لـ (مكامون) أو (ستيفن كينج) أو (ف س أندروز) .. هل تفهم ما أرمى إليه ؟ الملصقات التى نطقها تأتينا من مجمع المكتبات القومى .. وهذا يموله دافعو الضرائب .. أى إته يأتى منك ومعنى .. »

كان (سام) ينقل ساقاً بدل ساق .. وما كان ليحب
أن يمضى العصر يصغى لمحاضرة عن حرية الاختيار ،
لكن ما كان متأكداً منه هو أنه يمقت (أرديليا لورتنز)
أكثر فأكثر كل دقيقة ..

- « هناك لجنة بها أطفال تختار لنا الملصقات .. هل
بدأت تفهم ؟ »

- « نعم . الأطفال اختاروا شرطى المكتبة و(سام)
السادج لأنها ملصقات مرعبة »

- « بالضبط .. »

صافحها ، وقال :

- « أرجو ألا أكون تجاوزت حدودى .. أنت لست
متضايقة منى »

مدت يدها تلمس يدها ، وقالت :

- « على الإطلاق .. »

ثم أشارت بإصبع مكسوة بالطلاء بعناية إلى الكتب ،
وقالت :

- « تذكر .. أسبوع واحد يا (سام) .. لا أحب أن
أرسل شرطى المكتبة فى أثرك .. »
وابتسمت ..

قال (سام) :

- « وأنا كذلك لا أحب .. »

* * *

الفصل الثالث

خطبة (سام)

١

كان نجاح الخطبة ساحقاً .. لقد بدأ بإحدى قصص (التليين) في كتاب (رفيق الخطباء) .. وكان قد اختار قصة عن بيع طعام مجمد للإسكيمو .. ثم ألقى مقطوعة شعرية قصيرة .. وأنهى كلامه قائلاً :

« حاولت أن أعطيكم بعض أسباب عملى فى بلدة صغيرة مثل (جاتكشان) .. فإن لم تقتنعكم فأنا فى مشكلة كبرى ! »

دوت ضحكات من القلوب مع رائحة لبخرة اللويسكى .. وكان عرقه يسيل بغزارة لكنه يشعر بالرضا عن نفسه وبدأ يعتقد أنه قد ينجو من هذا .. لم ينصرف أحد ولم يلقى أحدهم بطعامه .. هناك صيحة استهجان واحدة ، لكنها كانت حميدة ..

قال لهم :

« لا شك فى أن المتاجر الكبرى فى المدن تبيع أشياءها بأسعار أرخص منا .. بل يمنحونك مكاناً مجانياً توقف فيه سيارتك .. لكن هناك شاعراً يدعى (مايكل سبنسر) قال :

فقط اللمسة البشرية فى هذا العالم هى ما له معنى .

لمسة يدك أو يدي ..

إنها أكثر أهمية للقلب المرتجف من المأوى والطعام والشراب ..

لأن المأوى يزول متى انتهت الليلة .. والخبز لا يدوم إلا يوماً ..

لكن لمسة اليد تبقى فى روحك للأبد .. »

فما أن انتهى حتى كان التصفيق يصم الأذان .. وراح يتعالى .. قال لنفسه إنه ما شربوه .. كانوا سيصفقون بنفس الطريقة لو قلت أى شيء مخيف ..

فجأة ! رأى الناس ينهضون ، فقال لنفسه إتهم متلهفون على الانصراف ، لكنه رأى (كريج) يشير له فهمم .. يريد منه أن ينحنى لهم .. نهض كالمذهول غير مصدق فوجدهم يصفقون له فعلاً ..

وهتف (كريج) وهو يحرك يدي (سام) كالمضخة لأعلى ولأسفل :

- « هذا عظيم .. لو عرفت منذ البداية أنك موهوب هكذا لحجزت لك الدور الأول .. من أين نسخت هذه الخطبة ؟ »

- « لم أنسخها .. إنها من تأليفي »

راح الجميع يصافحونه حتى شعر بأنه الظلمة الوحيدة في المدينة في موسم الجفاف ..

- « أفضل خطبة سمعتها في هذا النادي اللعين منذ

عامين ! »

٢

في الصباح عاد لعالم الأحياء بمعدة متقلصة من فرط الشرب .. لقد فتح باب بيته بمعجزة ؛ لأنه وجد بدلاً من مفتاح واحد وقفل واحد ثلاثة مفاتيح وأربعة أقفال .. وقد نزع ثوبه وارتمى في الفراش غير عاقل بأي شيء .. وقف في الحمام تحت الدش البارد ، ثم ارتدى ثوبه .. وأدار شريط آلة الرد على المكالمات . في البداية جاء صوت امرأة .. أين سمعه من قبل ؟

- « أهلاً يا سام .. سمعت خطبتك وكانت رائعة .. أنا فخور بك »

لقد كانت تلك المرأة (لورتر) .. كيف حصلت على رقمي ؟ لا بد أنه كتبه في بطاقة استعارة المكتبة ..

- « تأكد من إعادة الكتب قبل السادس من إبريل » ثم انتهت المكالمة ..

قال (سام) :

- « أنت إنسانة كريهة »

ثم اتجه للمطبخ ليعد لنفسه بعض الخبز المقدد ..

عندما عادت (ناعومي) بعد أسبوع ناولها مظلوماً
سميكا فتحتة فوجدت بطاقة شكر مع عشرين دولاراً ..
نظرت له متسائلة ، فقال :

- « هذا على سبيل الشكر .. أنت من أعطيتي فكرة
للذهاب للمكتبة .. وبفضلك كنت خطبتى ناجحة بحق .. »
قالت ، وهى تنظر للباب لتتأكد من أن بوسعها
التراجع :

- « أنا لا أريد هذا .. لقد كان ذلك عملى »

- « ألا تفهمين أننى بعث منزليين وكتبت وثائق تأمين
بمائتى دولار منذ ألفت هذه الخطبة للجنة ؟ لو لم تأخذى
هذا المبلغ لصرت فى أتعس حال »

كان قد حاول التقرب لها عام ١٩٨٨ لكنها أفلتت
من عروضه ببراعة وحنكة .. قالت إن السبب ليس أنه
لا يروق لها ، ولكن لأنها لا تتصور أية علاقة بينهما
فى أى وقت .. بعض الأشياء لا يمكن شرحها يا (مسلم)
لكن ليس بوسعى .. صدقتى ..

هكذا أخذت المبلغ لترضيه ، لكن شعر بأنها مسرورة ،
وقالت له :

- « ليكن .. الآن وقد أخذت المال فهل يمكننا أن نتكلم
فى موضوع آخر ؟ »

عقد يديه خلف رأسه ونظر إلى السقف مفكراً ،
وقال :

- « إنه الحظ .. حين طلب منى (كريج) أن ألقى
هذه الخطبة كنت على وشك قتله »

قالت :

- « أنت أسعد حظاً مما تظن .. عندما اقترحت عليك
زيارة المكتبة سميت أنها تغلق عصر الجمعة .. لكنك
وجدتها مفتوحة .. لا بد أن مستر (برايس) كان يطالع
جريدته هناك »

- « (برايس) ؟ لا بد أنك تعنين (بيكام) .. الفراش
الذى بهوى قراءة الصحف ؟ »

نظرت له ، وقالت :

- « (بيكام) الوحيد الذى أعرفه مات منذ عامين ..
أنا فعلاً أتحدث عن مستر (برايس) أمين المكتبة .. »
- « لم أر إلا مس (لورترز) .. وهى امرأة معتلنة فى
منتصف العمر »

نظرت له نظرة ذات معنى ، وقالت :

- « مس (لورترز) ؟ هذا غريب .. إنها ... »

لو أنها أكملت كلامها لغيرت الكثير ، لكن الحظ يلعب
الغالباً غريبة .. هذا ما فكر فيه فيما بعد .. ففى هذه
اللحظة بالذات دق جرس الهاتف ..

كان هذا (بيرت إيفرسون) الأب الروحى لكل رجال
القانون فى بلدة (جاتكشان) .. كان يتحدث عن صفقة
تأمين كبرى .. للمركز الطبى الجديد الذى ما زال فى
بدايته ، لكنك تعرف إلى أى حد يمكن أن يتسع ..

هكذا حين عاد لـ (ناعومى) كان قد نسى كل شىء
عن (لورترز) .. هذه الصفقة ضخمة ، ويمكن أن
تضعه خلف عجلة قيادة المرسيديس التى يحلم بها ..

كانت (ناعومى) تعرف جيداً من هى (أرديليا
لورترز) وقد حسبت (سام) يعرف كذلك .. لقد كانت
المرأة صاحبة أسوأ قصة فى (جاتكشان) منذ عشرين
عاماً .. ربما منذ الحرب العالمية الثانية .. حينما عاد
الفتى (موجنس) إلى داره من المحيط الهادى ، وشغل
أسرته قبل أن يصوب السلاح إلى رأسه ويفجره .. لقد
فعلها (إيرا موجنس) قبل عصر (ناعومى) .. ولم
تعرف أن قضية (أرديليا) حدثت قبل قدوم (سام) إلى
البلدة ..

لقد نسيت الأمر وراحت تفكر ما إذا كانت ستناول
(لاراتيا) أم شواء على العشاء .. وهكذا راح (سام)
يملى عليها الخطابات ثم دعاها إلى الغداء فرفضت ؛
لأنها يجب أن تعود لأمها التى بدأت صحتها تتدهور
هذه الأيام .. هكذا لم يتكلم أحد عن (أرديليا) ذلك
اليوم ..

الفصل الرابع

الكتب المفقودة

١

ما كان (سام) من هواة وجبة الإفطار ، غير أنه فى أيام السبت من حين لآخر كان يشتهى أن يغير الروتين ، فيستيقظ متأخراً ثم يتجه إلى مطعم (ماكينا) ليحظى بإفطار دسم من اللحم والبيض بينما يقرأ الصحيفة .. يقرأها فعلاً ولا يكتفى بتقليب صفحاتها ..

وقد اتبع هذا الروتين فى الصباح التالى .. السابع من إبريل .. كان الجو صحواً رقيقاً يمثل بدلة الربيع ..

كان قد فرغ من الإفطار وعاد إلى داره ليجد أن هناك رسائل على آلة الرد على المكالمات .. لدار الشريط فسمع صوت (أردينيا) الذى لا يمكن أن تخطئه ، يقول :

- « (سام) .. لقد خاب أملى فيك .. لم ترجع الكتب التى استعرتها ! »

- « اللعنة ! »

كان هناك شيء يحيره طيلة الأسبوع ويتوالت على لسانه .. للكتب .. لا بد أنها وجدتته ذلك الجلف الفظ الذى أرادته أن يكون .. هو يتحلى ويصدر أحكامه حول أية صور تصلح لمكتبة الطفل وأبها لا يصلح .. المهم الآن أن يعرف إن كانت قد وضعت لسانها السليط على آلة الرد أم أنها تؤجل هذا حتى تراه وجهاً لوجه .

- « لقد توقعت ما هو أفضل من ناحيتك يا (سام) .. »

وجد أنه واقف فى الدار وحده ولغافة التبغ بين يديه وأذناه محمرتان .. لقد عاد صبيها فى الصف الرابع الابتدائى .. من جديد عاد صوت المرأة :

- « لقد قررت أن أمدد لك الفترة حتى يوم الإثنين .. فقط تجنب إغضبى .. وتذكر شرطى للمكتبة يا (سام) .. »

قال لها :

- « قديمة يا صغيرتى .. »

لكن المكالمات كانت قد انتهت وكذلك انطلق جهاز التسجيل ..

أشعل (سام) لفافة تبغ وراح يفكر .. ربما يبدو تصرفه أقرب إلى الجبن ، لكنه سينهى مشكلته مع مس (لورتز) بالإضافة إلى أنه يحمل عدالة لا بأس بها . لقد كافأ (ناعومي) وعليه أن يفعل ذات الشيء مع (أرديليا) ..

جلس إلى مكتبه وبدأ يكتب في دفتر أوراقه :

عزيزي مس (لورتز)

أعتذر عن تأخير إعادة الكتابين .. هذا اعتذار صادق لأن الكتب كانت ذات نفع عظيم في إعداد خطابي ، أرجو قبول هذا المبلغ تعويضاً عن تأخير الكتابين ، والباقي تعبيراً عن امتناني .

سام بيلز

كاد يعدل (الكتابين) إلى (كتابي المكتبة) ثم عدل عن هذا لأن المرأة تتصرف بطريقة (أنا الدولة والدولة أنا) حتى لو كانت الدولة هي المكتبة .. وضع ورقة بعشرين دولاراً من حافظته وثبتها بدبوس إلى الورقة .. ثم راح يفكر .. على الأرجح ستعتبرها رشوة وتجن ..

على كل حال لن يقدم لها المال شخصياً لأنها ستكون حادة معه .. سيحزم الكتابين برباط مطاطي ويضع المذكرة والمال بينهما .. إن له ستة أعوام في البلدة دون أن يحظى بروية (أرديليا) لذا يمكن بشيء من الحظ ألا يراها ستة أعوام أخرى .

راح يبحث عن الكتابين .. هما ليسا في المكتب .. دخل المطبخ فوجد شريطي فيديو ومظروفاً .. راح يحك رأسه متسائلاً ..

صعد إلى الطابق الثاني فلم يجدهما .. الآن بدأ يشعر بشعور سيئ للغاية ..

عندما جاءت للثالثة عصراً كان يقف بالمعنى الحرفي ..
لقد فتش كل ركن في البيت حتى الكرار .. وهو ذا قد
أمضى يوم سبت جميل يبحث عن كتابين بلا جدوى .
تذكر أمه عندما كانت تقول له : لو عجزت عن العثور
على شيء فلا تقلب المكان بحثاً عنه .. اجلس وفكر ..
راح يسترجع شريط للذكريات منذ استعار للكتاب حتى ...
لقد عاد إلى المكتب وفي الطريق عرج على (سام)
ليأكل بيتزا بيروني وقطيرة بعيش الغراب أكلها على
مكتبه وهو يتصفح الكتابين .. وراح يحاول ألا يسقط
شيء من البيتزا على الكتاب .. وحين عاد لداره مساء
أخذ معه الخطبة لا الكتابين .. ثم جاء (كريج) ليوصله
إلى ومن الحفل ..

السبت ضاع كله في نوار الخمر Hangover .. لم يذهب
للمكتب يوم الأحد .. هذا مؤكد .. يوم الإثنين تلقى
مكالمات هاتفية هي بداية نجاحاته وحين غادر المكتب
كان يحمل حقيبة أوراقه في يد والكتب في الأخرى ..
كان ينوي إعادتها لولا أن تلقى دعوة عشاء من صديق

لأن ابنة أخيه كانت في زيارة .. عندما تكون عزباً في
بلدة صغيرة يتحول كل إنسان إلى خاطبة .. عندما عاد
لبيته كان قد نسي كل شيء عن الكتب ..

شعر بموجة أمل عابرة كالتى يشعر بها الناس عندما
يعتقدون أن رغبتهم في الشيء كافية كي يوجد .. ربما
تركت الكتب في السيارة .. لكن لا .. الآن يذكر أنه فتح
باب شفته وكانت الكتب في يده .. ثم رأى بعين الخيال
نلك الصندوق من الورق المقوى في المطبخ ..
الصندوق الذى يترك فيه المخلفات ..

تجه للهاتف وطلب (مارى فاسيرز) التى تنظف البيت
صباح كل ثلاثاء .. كتبت من الأشخاص المذعورين الذين
يتوقعون الشر دوماً متى طلبتهم هاتفياً ..

- « هل ثمة خطأ يا (سام) ؟ »

نعم .. نعم .. بعد صباح الإثنين ستبحث عنى تلك
الشيطانة التى تعمل فى المكتبة . غالباً حاملة صليفاً
ومجموعة مسامير ..

- « لا لا يوجد خطأ . فقط كنت أبحث عن مجموعة
من الأوراق الناقصة .. وحسبت أن (ديف) أخذها »

- « أنت تعرف أنه يأخذ كل شيء تتركه في تلك العلبة المصنوعة من ورق مقوى .. هل هناك شيء خطأ ؟ أنت لم تسأل عن هذا الصندوق قط »

استغرق الكثير من الوقت ليقنع المرأة أنه لا توجد كارثة هناك .. وفي النهاية وضع السماعة وجلس منهاراً ..

(ديف) قد جاء لجمع الصحف القديمة كعادته أول أسبوع من كل شهر ، ويبدو أنه أخذ الكتابين دون أن يعرف . يمكنه أن يتخيل ما حدث لهما الآن .. لقد صار ورق طباعة تم تدويره .. إن (ديف) كان مدمناً للكحول .. ولما لم يستطع الحفاظ على وظيفة ، راح يعمل في جمع مخلفات الناس .. يختصهم من الصحف القديمة . ثم يحملها إلى مركز إعادة تدوير المخلفات الذي يسكن بجواره مع دسنة ممن هم مثله ..

ظل للحظات يفكر .. ثم نهض متجهاً إلى سيارته ..

الفصل الخامس

شارع الزاوية

١

لا بد أن نوليا من كتب اللافتة كانت طيبة لكن هجاءه كان سيئاً .. كانت اللافتة المثبتة جوار السكة الحديدية تقول : شارع الزاوية . ولما لم تكن هناك زوايا على طريق السكة الحديدية ، فقد قدر أن كاتب اللافتة كان يعنى : شارع الملائكة .. وقد خلط بين لفظة angle و angel ..

كان هذا المبنى يعود لأيام كانت هناك سكة حديدية في (جاتكشان) .. لقد أزيلت أكثر القضبان وتم فك التحويلات بيد الناس الذين صار هذا مأواهم ..

وصل هناك عصرًا وكان نسيم خفيف يبعث الرجفة في أوصاله .. ومن بعيد يسمع صوت صرير اللافتة التي تحمل اسم المدينة تهتز للأمام والخلف . أما ملجأ المشردين فقد كان أبيض اللون فيما سبق لكنه الآن صار رماديًا ..

كان حظه سعيدًا إذ وجد (ديف) .. كان يجلس هناك مع صديقين يحاولان أن يرسموا على قطع كبيرة من الورق المقوى ، وكأنهما تلميذان في الحضرة يحاولان رسم شجرة كي يظفرا بنجمة من المعلمة ..

- « مرحبًا (ديف) .. »

نظر (ديف) لأعلى ورسم ابتسامة أظهرت ما بقى من أسنانه ، ثم هتف :

- « مرحبًا مستر (بييلز) .. هيه يا رفاق ! رحبوا بالمستر (بييلز) .. إنه محام ! »

- « هل معك ربع ؟ »

قال (سام) وهو ينظر إلى الرجلين :

- « فى الحقيقة أنا أتاخر بالعقارات .. »

راح أحد السكيرين يترنم بأغنية بذينة فتجاهله (سام) وسأل (ديف) عن الكتابين ..

- « أنا آسف .. لم أر أية كتب .. صدقتى »

- « أنا أصدقك يا (ديف) .. »

فكر (سام) فيما إذا كان هؤلاء القوم فى نادى للروتارى يعرفون بوجود مخلوقات كهذه ؟ يعرفون بوجود (شارع الزاوية) ؟ وماذا يقول الشاعر (سبتسر مايكل) الذى كتب منه القصيدة لو رأى هؤلاء ؟ هل كان يتكلم عن (اللمعة البشرية التى هى أهم شىء فى العالم) ؟

- « هل أخذت الأوراق من بيتى لمركز إعادة تدوير المخلفات ؟ »

- « نعم سيدى »

وأدار (ديف) الورقة التى يرسم عليها فرأى (سام) صورة لامرأة تمسك بقطعة نجاج محمر .. من الغريب أنها كانت صورة جيدة .. هذا الرجل يملك الموهبة بلا شك .. وتحت الصورة كتب (شارك فى عشاء الكنيسة المنهجية من أجل الذين لا مأوى لهم) ..

قال (ديف) مفسرًا :

- « فى شبابه نلت منحة كاملة للدراسة فى أرقى أكاديمية فنون فى فرنسا .. لكنى رسيت فى صفى الأول .. إنها الخمر .. هكذا صرت ضائعًا بلا أمل ولا بيت »

- « هل هذه المرأة حقيقية ؟ »

اتسعت ابتسامة (ديف) ، وقال :

« هذه (سارة) .. فتاة ممتازة .. لولاها لأغلق هذا المكان منذ خمسة أعوام .. إنها تجد المال الذى يمنعهم من هدم هذا المبنى .. إنها تطلق على من يتبرعون بالمال (ملائكة) لكنها هى الملاك الحقيقى .. وقد سمينا الشارع تكريماً لها .. »

ثم دخل مع رفيقه إلى البناية المتهدمة لمشاهدة حلقة (رحلة النجم Star trek) ..

٢

كاد (سام) يصل لسيارته .. ثم قرر أن يعود إلى مركز إعادة تدوير المخلفات . مشى عبر الأرض العشبية وهو يرقب قطارات البضاعة تبتعد متجهة نحو (أوماها) .. كان مرأى قطارات البضاعة يشعره بانوحشة طويلة حياته لسبب لا يعرفه .. لكنه الآن يشعر بوحدة أكثر ..

كان المكان مغلقاً فقرر العودة لسيارته عندما وجد شيئاً مألوفاً على الأرض . اتحنى يلتقطه فوجده غلاف

روايت مصرية للجيب .. روايات عالمية ٥٥

كتاب (أكثر القصائد شعبية لدى الأمريكيين) .. وعليه خاتم المكتبة .. هذا هو ما حدث .. لقد وضع الكتاب فى الصندوق ، ثم نسى أمره ووضع عليه الكثير من الصحف .. جاء (ديف) ونقل الصندوق إلى هنا .. وهكذا لم يبق من الكتاب إلا هذا الغلاف ..

ألقي بالغلاف على الأرض .. الآن لديه مهمة عسيرة يجب القيام بها .. هناك غراب يجب أن يلتهمه للعشاء !

★ ★ ★

الفصل السادس

المكتبة

١

فى طريقه للمكتبة تذكر حقيقة لم يفكر فيها من قبل ..
لقد استعار كتابين وفقدتهما .. كل ما عليه هو دفع
ثمنهما .. وخطر له أن (أرديليا) نجحت فى جعله يفكر
كصبي فى الصف الرابع أكثر مما توقع .. عندما يفقد
الصبي كتابا فإنه ينكمش على نفسه خوفا من شرطى
المكتبة .. لا يوجد شرطى مكتبة .. هو شخص بالغ
ويعرف هذا .. لا يوجد إلا موظفة بيروقراطية تبالغ فى
أهمية نفسها .. وتتسى أن دافعى الضرائب مثله هم
الكلب الذى يهز الذيل لا العكس ..

كان متجها نحو المكتبة عندما توقف فى منتصف
المسافة .. لقد زارته رؤيا معينة .. تلك المرأة التى
كانت تلتهم الدجاج وبدأت مألوفة فى الصورة التى
رسمها (ديف) .. إنها (ناعومى هيجنز) ..

٢

على باب المكتبة مر بفتيين يلبسان جاكيتين
جلديين ، ولحق بالباب قبل أن ينغلق ..

دخل الردهة ، فكان أول ما أثار دهشته أن تلك
اللوحة التى تقول : (الصمت) قد اختفت وصارت
مكانها صورة لـ (توماس جيفرسون) مع عبارة له
تقول : لا أستطيع الحياة من دون كتب ..

هذا غير انطباعه عن المكتبة بالكامل .. هذه العبارة
تمنحك نوعا من الترقب والسرور .. تشعر كما يشعر
به الجائع عندما يصل الطعام ..

فجأة تصلب (سام) ، وقد رأى ما رآه ..

كانت الإضاءة ساطعة .. لكن هذا كان جزءا من
التغييرات .. إن السقف منخفض ولم تعد هناك تلك
السلام الشامخة المتحركة .. المجالات موضوعية
بطريقة مغربة على منضدة جميلة الشكل .. اختفت
لافتة : (الإعارة سبعة أيام فقط) لتحل مكانها لافتة
تقول : (اقرأ الكتب الأفضل مبيعا لتظفر بالمتعة) ..

اختفت التوافذ العلوية وحل محلها سقف مودرن معلق .. راح الناس ينظرون لـ (سام) في حيرة وبعضهم ضحك خفية .. لكن (سام) لم يشعر بشيء لأنه كان ينظر للسقف في ذهول حيث وقف وسط القاعة الرئيسية ..

ماذا في ذلك ؟ لقد ركبوا سقفًا متحركًا وأجروا تجديدات .. المرأة لم تقل هذا .. لكن لماذا تقول لك ؟ أنت لست عميلًا مهمًا أو منتظمًا .. لكن برغم هذا لا يصدق أن كل هذه التغييرات تمت في أسبوع .. أنت في المكتبة الخطأ ! فكر في هذا لثانية ثم تراجع كما يشب القط فوق ظل .. لا يمكن أن تشيد البلدة مكتبتين .. دعك من أنه لن يضل الطريق ..

هنا فطن إلى أن كل واحد في المكتبة كف عما يقوم به وراح ينظر له .. هكذا اتجه لرف المجلات وانتقى عددًا من (أمريكا اليوم) وراح يقب فيه باهتمام مفتعل ..

عندما نسيه الناس ترك المجلة واتجه إلى قسم الأطفال .. على الباب لم يجد (ذات الرداء الأحمر) في لحظة رعبها ، بل وجد أولاد أخى (دونالد) بالمايوهات يسبحون في بركة كتب ..

بالداخل وجد أن كل شيء تغير .. وفي ركن المكان وجد فتى وفتاة من طلبة الكليات ينظران له بدهشة .. قال لنفسه : كن حذرًا .. لا .. كن طبيعيًا .. لقد بدأ الجميع ينظر له الآن باعتباره نصف مجنون ..

هكذا مألها في أدب :

- « أنا أبحث عن أمينة المكتبة .. »

- « للأسف مسر (بريس) لا يتلى هنا مساء السبت »

تذكر ما قالت (ناعومي) من قبل ، فعاد يسأل :

- « أبحث عن تدعى مس (أرديليا لورتر) .. »

قالت الفتاة في أدب :

- « لا بد لك على خطأ .. لا أحد هنا يدعى (لورد) .. »

- « (لورتر) .. »

بدت عليهما الدهشة ، وكان يرغب في أن يصر على أنه قابلها هنا منذ ثمانية أيام ، لكنه عدل عن هذا .. هكذا رسم ابتسامة على شفتيه ، وقال :

- « سامحني .. إني أمر بيوم من تلك الأيام »

- « بالفعل .. »

قالت الفتاة ففكر : إنها تحسبني مجنوناً .. لكن هل تعرف ؟ أنا لا ألومها على ذلك ..

قال باسمًا :

- « أنا (سلم هيلز) .. »

ومد يده يصافحهما فمدت الفتاة يدها له ، وقالت :

- « (سنثيا بيريجان) .. وهذا (توم ستانفورد) .. أنا (توم) ندرس فى كلية (شابلتون) .. أنا أعمل هنا منذ ثلاثة مواسم دراسية . »

- « وهذا السقف المعلق هنا منذ زمن ؟ »

- « لا أعرف أن هذا اسمه .. لكن .. نعم .. هو هنا منذ أتيت أنا .. »

هنا قال الفتى :

- « نحن نطلق غذا .. يمكنك أن تلتى يوم الإثنين لتقابل مستر (برايس) . »

- « بالفعل سأفعل هذا .. »

- « كنا نتمنى لو نستطيع مساعدتك .. »

- « أنا أيضًا تمنيت هذا .. »

٣

كان بخير حتى ركب السيارة .. هنا تخلت عنه كل عضلاته واضطر للتمسك بسقف السيارة كي لا يسقط على الأرض .. وتهالك خلف عجلة القيادة وراح يتنفس بصعوبة متوقعًا أن يفقد الوعي .. ماذا يحدث هنا ؟ يشعر بأنه فى حلقة من مسلسل (رود سيرلنج Serling) القديم (منطقة الشفق) .. لكن الغموض يفقد أية متعة له عندما يتعلق الأمر بك ..

الناس تدخل وتخرج إلى ومن المكتبة وكل شيء يبدو طبيعيًا ..

كف عن التفكير .. غذا فى ضوء الشمس ستجد متطفاً لهذا كله .. أدار محرك السيارة لكنه ظل يفكر فى الأمر طيلة الليل ..

الفصل السابع

أهوال الليل

وقف مذعوراً أمام جهاز الرد على المكالمات ..
هناك مكالمة مسجلة فهل هي منها ؟ من الصف الرابع
إلى مستشفى المجانين .. هذا هو طريقه .. تمالك
أعصابه وأدار الشريط فسمع (جو المدهش) يشكره
على قيامه بالخطبة بدلاً منه ، ويخبره أن عنقه التوى
ولم يهشم .. ثم يهديه مجموعة من التذاكر المجانية ..

معنى هذا أن مكالمة (جو) قد مسحت الشريط ..
وهذا يعنى أن آخر أثر يثبت أن المرأة موجودة قد
اختفى .. لكن ماذا عن كارنيه المكتبة ؟ ألا يحمل توقيع
المرأة ؟ هنا تذكر أنه لن يجده لأنه كان قد وضعه فى
كتاب (أكثر القصائد شعبية) ..

هو لم يكن .. لكن لو لم يجد تفسيراً فلسوف يحدث هذا ..

هكذا جلس ووضع يده على رأسه .. وشعر ببدايات
الصداع ..

٢

كان يسخن على الموقد عليه من الحساء أملاً فى أن
تزيل الصداع عنه ، عندما خطرت بذهنه (ناعومى
هيجنز) .. (هيجنز) .. الفتاة التى تشبه اللوحة التى
رسمها (ديف) .. وتساءل عما إذا كانت لها حياة
سرية تحت اسم (سارة) ..

(ناعومى) بدا أنها تعرف (أرديليا) .. لقد بدأت
الكلام عنها عندما دق جرس الهاتف .. هذا مؤكد ..
هناك ثقب فى رأسه يمكنك أن تلقى فيه أشياء وتنتظر
حتى تسمع صوت له (سبلاش) ..

حاول الاتصال بها لكن أمها غير الودود قالت له إنها
بالخارج .. وإنها ستكون فى الكنيسة غداً .. لا تترك
مذكرات لها لأنى سأنام الآن ولا أستطيع الكتابة بسبب
التهاب المفاصل ..

تناول الحساء ثم قرر أن ينام .. كان بحاجة إلى
رحلة لعالم النسيان ..

لكن النوم لم يأت .. كان يشعر بأنه موشك على
فقدان عقله ، وقد أثارت هذه النقطة رعبه .. كان يرى

فى السينما رجلاً يمسك برأسه ، ويقول للطبيب النفسى :
بيدو أنتى سافقد عقلى يا دكتور .. هكذا كان بحسب
فقدان العقل والصداع شينين متقاربين ..

لم يكن الأمر كذلك .. بل هو أقرب إلى أن تمد يدك
لتهرش جزءاً من جسمك فتجد بدلاً منه ورماً سرطانياً
ضخماً ..

لقد بدأ يشك فى كل شيء .. موضوع (سارة) التى
تحسن للمنبوذيين وهى فى الحقيقة (ناعومى) .. النمو
المذهل فى أعماله .. هل كل هذه تهيؤات ؟!

بعد منتصف الليل ساءت الأمور أكثر .. لقد راح
يفكر فى (أرديليا لورتز) .. يتصورها فى الخزانة أو
تحت الفراش .. رآها تضحك فى الظلام وشعرها
مفكوك حول كتفيها كأنه جمة مفزعة .. تمد يدها
طويلة الأظفار نحوه .. تصور كيف ستصير عظامه
(جىلى) لو أنها بدأت تهمس له ..

أنت أضعت الكتب يا (سام) فلم يعد لدى إلا شرطى
المكتبة ..

هنا صار النوم مستحيلاً .. مد يده بضىء المصباح
بجوار الفراش ..

لا تغلق .. قلن تلبث أن ترى شرطى المكتبة ..
وربما الوحش (جورجو) كذلك .. لم لا ؟؟ لا توجد
مشاكل فى الهلوسة بالنسبة لشخص تخيل زيارة كاملة
للمكتبة ومقابلة مع امرأة لا وجود لها ..

بحث عن أقراص منوم فلم يجد لذا قرر أن يرتجل ..
سخن بعض اللبن على الموقد ثم صبه فى كأس ..
وأضاف له بعض البراندى كما رأى فى الأفلام .. ذاق
رشقة من السائل الكريه ثم ألقاه فى الحوض ..
الساعة الواحدة صباحاً .. ما زال الوقت طويلاً
حتى الصباح .. وقت طويل من تخيل (أرديليا)
وشرطى المكتبة يتسلقان الدرج والسكاكين بين
أسناتهما .. أو سهام .. سهام طويلة سود .. لماذا
سهام ؟ لا يعرف ..

قال لنفسه إنه لا يريد أن يعرف .. وعاد للفراش ..

ترك المصباح مضاء فبدد هذا بعض مخاوفه .. وقدر أنه قد ينام قبل أن يفنى الكون أخيراً ..

لا بد أن شيئاً مما رآه حدث فعلاً .. ليست كلها هلاوس ما لم أكن الآن فى مستشفى المجانين ، ألبس القميص وأرقد فى زنزانة مبطنة ، وأتخيل أننى هنا فى فراشى .

(ناعومى) سمعت عن (لورتز) .. معنى هذا أن هناك آخرين فى البلدة سمعوا عنها .. ليس الطلبة فى (شابلتون) ولكن كبار المواطنين ..

عند هذه النقطة عبر الحاجز الواهى بين النوم والصحوة .. وغرق فى الكوابيس ..

عندما صحا من النوم كان غارقاً فى العرق وقد انتزع أغطية الفراش جميعاً من موضعها .. وكانت الساعة جوار الفراش تقول ٤٥ : ٥ .. كان رأسه يؤلمه بشدة .. نهض للحمام وقضى حاجته .. ثم عاد للفراش وورقاً بانتظار انتهاء تأثير الكابوس ..

الفصل الثامن

شارع الزاوية

١

وصل لشارع الزاوية فى منتصف الثانية عشرة .. ولم يندهش لرؤية سيارة (ناعومى) اللاتسون الزرقاء تقف هناك . وقف خلفها واتجه إلى البناية العتيقة التى يتخذها المشردون مأوى ، ودق الباب .. فلما لم يرد أحد عليه فتحه . كن المكان خلياً ما لم يعتبر الهاتف على الجدار ثلثاً ..

كان أول باب على اليسار مفتوحاً وقد كتب عليه : (أصدقاء بيل يدخلون من هنا) ! وتحتها لافتة أخرى بدت سخيفة بلا معنى بالنسبة لـ (سام) .. كانت تقول : - الوقت يستغرق وقتاً !

كان الباب يطل على غرفة رئيسة بها أريكة ومقاعد محطمة تم إصلاح بعضها بالك (سلوتيب) ..

واصل (سام) المشى شاعراً بأنه متطفل .. راحة المكان كريمة حتى قدر أن شخصاً مات هنا منذ زمن

أو أن شخصاً سيموت قريباً . كان هناك مطبخ عتيق به حوض صدى .. وثلاجة متداعية .. ومن النافذة الخلفية رأى حديقة لا بأس بها .. لا تحوى الكثير لكن سكان الشارع الزاوية اعتنوا بها ..

كان هناك نحو نصف دسنة من سكان الشارع يجلسون فى مقاعد هناك فى تلك الحديقة .. استطاع أن يميز (ناعومى) و(ديف) والرجلين اللذين قابلهما أمس (لوكى) و(رودلف) .. ثم أدرك أنه يرى معهم أكثر محامى البلدة ثراء (بيرت إيفرسون) .. و(المر باسكين) رجل المصرف الذى لم يحضر خطبته فى نادى الروتارى لكنه اتصل به بهننه فيما بعد .. وهب النسيم بطير السناكر التى تحيط بالنافذة التى يقف خلفها (سام) ..

كل هذا غريب .. أن تجلس (ناعومى) مع مكبرى البلدة باسم مستعار .. وأن يرى أغنى رجل مصارف وأغنى محام هنا كذلك .. كل هذا يبدو كأنه حلم ..

وقف رجل يلبس سترة خضراء طالباً الكلمة : فسمح له (رودلف) بذلك :

- « اسمى (جون) .. وأنا مدمن كحول »

تراجع (سام) عن النافذة وقد بدأ يشعر بأنه ليس متطفلاً فقط بل هو جاسوس كذلك .. واضح أن هذه جلسة علاج جماعى لجمعية AA (مدمنون مجهولون) التى تعالج المدمنين سرّاً .. أمها تعتقد أنها فى اجتماع للكنيسة لكنها فى الواقع هنا .. كيف كنت أستطيع معرفة أنها مدمنة كحول تحاول الشفاء ؟ هل أنا أقرأ الأفكار؟ ربما لهذا تحاشت كل عروضه للتقرب منها ؛ لكنها تخشى أن يعرف ..

وهل يعنى هذا أن رجل المصرف والمحامى يعانيان ذات المشكلة الخطرة ؟ هو فقط يعرف شيئاً واحداً .. إن حرف A يعنى Anonymous (مجهول) .. وهذا يعنى أن الرجلين يمكن أن يسحقاه لو عرفا أنه عرف .. وهما قادران على تدمير أعماله الصاعدة فى هذه البلدة ..

يجب أن يرحل فوراً .. هو لا يرغب البتة فى التتصت على هؤلاء القوم .. ولا معرفة المزيد ..

هكذا توجه إلى باب الخروج ، وكتب مذكرة لـ (ديف) :

(ديف) .. مررت عليك بالصفة فلم أجد أحداً . حسببت أنه بوسعك أن تساعدني بصدد امرأة تدعى (أرديليا لورترز) .. أريد معرفة كل شيء عنها .. هلا اتصلت بي هذه الليلة ؟ رقمي هو ٥٥٥٨٦٩٩ .. شكراً »

وضع الورقة في مظهر وف ووضعه فوق جهاز التليفزيون .. فكر في ترك ربع دولار ثمن المكالمات مع المظهر ولكنه عدل عن ذلك حتى لا يعتبرها (ديف) إهانة . وعاد إلى سيارته مسروراً لأن أحداً لم يره ..

٢

عند العصر تغلب إرهاب البلحة على (سام) فبدأ ينحس على الأريكة وهو يشاهد مباراة (بيزبول) مملّة ، عندما دق جرس الهاتف ؛ فنهض شاعراً بعدم الاتزان .. كان هذا (ديف) يسأله :

- « ألم تقل إنك تريد معرفة شيء عن تلك المرأة ؟ »
قالها بلا تمهيد .. وكان صوته يرتجف كأنما فقد السيطرة على نفسه ..

- « ليس من مصلحتك مجرد التفكير فيها !! »

زال النفاس عن عين (سام) على الفور .. ما شأن هذه المرأة ؟ الناس يتعاملون معها إما كأنها الشيطان أو كأنهم لم يسمعوا عنها قط .. من هي بالضبط ؟
ساد صمت طويل حتى كان ليعتقد أن الخط قطع لولا صوت تنفس (ديف) المهشم المتعب ..

عاد للعجز يتكلم :

- « مستر (بيلز) .. أنت كنت طيباً معي وكذلك الآخرون الذين ساعدوني على البقاء حياً برغم أنني غير واثق مما إذا كنت أريد ذلك .. نصيحتي لك ألا تتكلم عنها معي ولا مع أي واحد آخر »

- « هذا يبدو تهديداً »

- « لا .. ليس كذلك .. أنا أفعل ما كنت سأفعله لو رأيته تمشي نحو بنر والعشب نام بحيث لا ترى قدميك . لا تتكلم عنها ودع الموتى موتى كما هم ! »

دع الموتى موتى كما هم .. لم يثر هذا دهشته .. كل شيء باستثناء الرسالة على آلة الرد على المكالمات يدل على الشيء ذاته : (أرديليا لورترز) ليست في عالم

الأحياء .. هو وحده من بين الأحياء تحدث معها ..
لا .. بل أجرى صفقة معها ودفع لها دولارين ..

لكن هذا لا يمنع من أن يصير جلده تجلد الإوزة ،
وأن تسرى قشعريرة على الطريق السريع الأبيض في
عموده الففري ..

- « هل معنى هذا أنها ميتة ؟ »

كان صوت (ديف) أقرب للجنون الآن :

- « لا أريد الكلام عن هذا يامستر (بيترز) .. أرجوك !! »

قال (سام) لنفسه : دعه في حاله .. ألا ترى أنه
يعانى ما يكفيه من متاعب ؟

هنا تذكر شيئاً آخر لسأل الرجل :

- « رأيت في المكتبة ملصقاً يمثل طفلاً خائفاً يصرخ
من زجاج سيارة .. لقد عرفت أسلوبك في الرسم على
الغور .. فهل ؟ .. »

صرخ الرجل :

- « اتس الموضوع ! أرجوك أن تنسى الموضوع فلم
يكن في يدى شيء !! »

روايات مصرية للجيب .. روايات عالمية ٧٣

وابتعدت صرخاته : إذ أخذ أحدهم السماعه منه ، ثم
جاء صوت (ناعومي هيجنز) تقول :

- « دعه وشقه .. ألا تستطيع أن ترحمه أيها الرجل
المخيف ؟ »

- « (ناعومي) . أنا .. »

- « ما دمت هنا فاسمى (سارة) .. لكن كلا الاسمين
يكرهاتك .. ولن أضع قدمي في مكتبك ما حييت ! »
قال لها ، وأعصابه تفارقه :

- « لماذا أرسلتيني للمكتبة يا (ناعومي) ما دمت
لا تريدني لى أن ألقاها ؟ لماذا ؟ »

نوت شهقة من الطرف الآخر .. ثم وضعت السماعه ..

هكذا ظل في المكتب حتى التاسعة والنصف بدون
اسماتلو الآخر على نفس المفكرة التى كتب فيها
خطاب الروتارى . إن ستة أعوام فترة طويلة لكنها لم
تعد كذلك .. كأنه أمضى في البلدة يوماً واحداً لا أكثر .

يريد من يجيب عن أسئلته بوضوح بصدد (أرديليا لورتز) .. لكنه لا يجد صديقاً حميماً بما يكفى ..

لم تكن (أرديليا) شبحاً فحسب .. كانت شبحاً داخل شبح .. فالمكتبة لم تكن ذات المكتبة .. كان الأمر كالسفر عبر الزمن .. لقد دخل المكتبة العتيقة كما كانت منذ أعوام وهذا يفسر غرابتها ..

★ ★ ★

الفصل التاسع

شرطى المكتبة

كان نومه هائلاً بلا كوابيس . وفى الصباح جاءته فكرة تحت (الدش) من طراز الأفكار التى تواتيك حينما يستريح جسدك ، لكن عقلك لم يفرق بعد لتشفله القاذورات اليومية . لم تكن المكتبة هى المكان الأوحى للمعلومات خاصة إذا كانت معلومات محلية ..

« الجريدة الرسمية ! »

وصرخ ووضع رأسه تحت الماء ليغسل الصابون ..
خلال دقائق كان فى الطابق السفلى يشرب القهوة وبدأ يكتب فى القلمة :

١- من هى أرديليا لورتز ؟

٢- ماذا فعلته أرديليا لورتز ؟

٣- هل جددت مكتبة المدينة ؟ متى ؟ صور ؟

هنا دق جرس الباب فنظر للساعة .. إنها الثامنة والنصف .. سوف يقصد الجريدة فى العاشرة موعد القهوة .. بحث عن عملة فى جيبه من أجل بيع الصحف ، واتجه للباب الخلفى بينما الجرس يدق ثانية ..

- « أنا قادم يا (كيث) ! لا تحدث ثقباً فى الـ ... »

لكنه وجد أنه ينظر لشىء أكبر من (كيث) من خلال النافذة المغطاة بالستر الخاصة بالباب . شعر بقشعريرة .. لا حاجة له لرؤية الوجه فحتى من هنا يدرك الشكل العام للواقف بالخارج .. والمعطف .. نزع يده عن المقبض لكنه تأخر لأن اللسان غادر القفل . وفى اللحظة التالية دفع القادم الباب ليفتحه . وهنا سقط (سام) للوراء ودخل شرطى المكتبة .

دخل ببطء كأن عنده كل الوقت فى العالم .. وفى يده كانت الجريدة ..

- « جنتك بالجريدة .. كنت سالدفع للولد بقشيشنا لكنه خاف وجرى .. »

كان صوته بعيداً كأنه يتكلم من وراء حاجز زجاجى .. تراجع (سام) وقال لنفسه : اتأخيل هذا .. هذا كابوس مخيف لا أكثر ..

لكنه لم يكن كابوساً .. كان مخيفاً لكنه ليس كابوساً .. كان سقف بيت (سام) علياً لكن شرطى المكتبة اضطرب لأن يحنى رأسه .. معنى هذا أن طوله يتجاوز مترين .. كان جلده أبيض ووجهه جامداً يدل على أنه لا يفهم الحب ولا الرحمة .. عيناه أقرب لقطعتى عملة ثقبتهما طلاقات الرصاص .. والأسوأ أن (سام) كان يذكر أنه رأى هذا الوجه .. هناك ندبة على حاجز الأنف تمتد لما تحت العينين .. قسهم الأسود .. (ر . ل . ستيفسون) .. ما الذى نكره بهذه القصة ؟ رفقة الريسوس هذه .. من أين جاءت ؟

قال الشرطى بصوت عميق :

- « تعال معى يا بنى .. فأتنا شرطى .. »

إنه يشبه الرجل فى المصق أو لعله هو بنفسه .. وسرعان ما بلبل (سام) سروائه .. لكن هذا بدا بلا أهمية .. المهم أن (سام) يعرف هذا الوجه .. باب فى مؤخرة وعيه يحاول جاهداً أن يفتح .. لكن لا وقت لهذا .. إنه يتراجع .. ينكمش على نفسه .. لم يفكر فى الهرب .. مستحيل .. نظر للأرض ودعا الله أن يرفع رأسه فيجد الشخص قد مضى ..

- « انظر لى ا »

- « لا .. »

صرخ (سام) فى ذعر .. وبكى .. مد الشرطى يده فى معطفه وأخرج ملفاً جلدياً .. التمعت شارته التى تبدو كنجمة متعددة الرءوس فى ضوء الصباح ..

- « لديك كتابان يخصان المكتبة »

- « لقد فقدتهما ا »

قالها وهو يبكى .. لم يستطع للكذب على الرجل .. لقد كان كله قوة .. كله سطوة .. كان كله قاضياً وجلاداً ..

- « أنا .. أنا .. »

- « لا أريد سماع أعذارك »

ومد يده لجيب معطفه وأخرج سكيناً لها نصل طويل حاد ، وقد عرفها (سام) على الفور .. إنها فتاحة صناديق .. هناك واحدة منها فى كل مكتبة فى الولايات المتحدة ..

- « سأهلك حتى للمساء .. »

روايات مصرية للجيب .. روايات عالمية ٧٩

واتغرس طرف السكين فى حنجرته .. واتحدرت قطرة دم هناك .. ثم عادت السكين لمعطف الرجل ..

- « عندما أعود فمن الأفضل أن تجد ما فقدته .. وهناك شيء آخر .. أنت تسأل أسئلة .. لا تفعل هذا .. تذكر لئنى أرافقك .. »

- « لن أفعل .. لن أفعل .. »

استدار الرجل ولم يلق أية نظرة على (سام) .. توارى عبر ضوء الشمس ولم يلق نظرة أخرى على (سام) .. لاحظ (سام) شيئاً مرعباً .. الرجل لا يظن له ..

فكر (سام) فى غلق الباب لكن قواه تخلت عنه وغاب عن الوعي ..

* * *

الفصل العاشر

بالترتيب الزمني

١

سألته موظفة الاستقبال :

- « هل لى أن أساعدك ؟ »

وأعادت النظر إلى الرجل الذى دنا منها .. فقال لها
(سام) :

- « أريد أن أراجع بعض النسخ القديمة من الجريدة
الرسمية .. »

- « هذا ممكن لكن اسمح لى .. هل أنت على
مايرام ؟ أنت صاحب جداً .. »

- « ربما أنا على وشك الإصابة ببرد .. »

- « رأيت صورتك فى الصحيفة لكن وجهك كان
مختلفاً .. أنا (دورين مكجيل) .. »

ومدت يداً مكتنزة تصافحه .. واقفادته إلى البدروم
حيث ثلاثة أجهزة ميكروفيلم .. شعر بأن المكان يشبه
المشرحة وكذلك كان اسمه فعلاً .. كان كل ظل يثير
هلعاً ثم تذكر أن شرطى المكتبة لا ظل له .. هكذا هداً
قليلاً ..

قالت وهى تشير إلى الجهاز :

- « هكذا يتحرك الميكروفيلم بالترتيب الزمني ..
لو أردت شيئاً فاطلبنى .. »

وصعدت الدرج فقاوم رغبة عاتية كى يلحق بها ..
برغم حداثة المكان فقد كان مجرد مكتبة أخرى من
مكتبات مدينة (جاتكشان) اللعينة ، وكاتوا يطلقون
عليها اسم (المشرحة) ..

الشرطى طلب منه ألا يسأل أسئلة ، وهو قد فعل
هذا .. لم يسأل .. فهل يعتبر مجيبه لهنأ إخلالاً
بالاتفاق ؟

كان عليه أن يختار تاريخاً يسبق ١٩٨٤ أى قبل قدومه للبلدة ، لأنه لو تمت تحديدات للمكتبة بعد هذا التاريخ للاحظها ربما عليه ان يبحث قبل عشرين سنة على الأكثر . السقف لم يبد منظره أقدم من هذا . فقط لو استطع أن يضيق النطاق أكثر ، لكنه لا يستطيع التفكير ' ما حدث صباح اليوم أفسد قدرات عقله كما تفسد البقع الشمسية الإرسال التليفزيونى .

انتقى أول مجموعة من الميكروفيلم وقام بتشغيل الجهاز ، وهى عملية يمكن لطفل فى السابعة أن يقوم بها ، لكنه كان مرتبكاً . فوجئ أن أول ما قرأه كان أعداد إبريل ١٩٨١ من الحريدة .. هل هذه صدفة ؟ لماذا اخترتها بائذات ؟ وعلى الصفحة الأولى قرأ بخط أحمر أن أسرة مكتبة (جاتكشان) تذكر المواطنين بأن عيد المكتبة يمتد من ٦ إبريل الى ١٣ إبريل !

ربما انتقى هذا السجل بلا وعى .. على كل حال استطاع أن يرى صورة أمين المكتبة (برايس) وخلفه المكتبة .. كان السقف المعلق مثبتاً .. معنى هذا أن

التجديدات تمت قبل عام ١٩٨١ . ولحسن حظه وجد فى نهاية العدد مقالاً مهم لأمين المكتبة (برايس) عن تاريخ المكتبة خلال مائة عام .. راح يقرأ المقال بذهفة لكن لا .. لم ير اسم (أرديليا نورتز) .. لكنه وجد أن تاريخ تجديد المكتبة هو العام ١٩٧٠ .. كانت هناك امرأة باسلة تولت أمر المكتبة بعد أيام الكساد الاقتصادى حتى عام ١٩٥١ ثم تولاها من يدعى (لافين) .. بعد هذا تسلم (برايس) المكتبة عام ١٩٦٤ .. هناك ثغرة ما .. ثغرة لم ينسها الرجل ولكن تجاهلها .. من الممكن أن نتصور أن هناك امرأة اسمها (أرديليا) تولت أمر المكتبة بعد (لافين) .. لقد فعلت ما جعل (برايس) يتحاشى ذكرها برغم ولعه الشديد بالتفاصيل ..

لا بد أنها قتلت . هذا هو الشيء الوحيد الذى ...

وفجأة هبطت يد على كتف (سام) ..

٣

لو صرخ لأثار هلعها لكنه لم يفعل .. فقط خرج
الهواء من صدره كانه أوكورديون داس عليه فيل ..
نظر للوراء وقد شعر بأن أعضائه لينة كالمكرونة ،
فقط ليجد (ناعومي هجنز) ..

- « (سام) ؟ هل هذا أنت ؟ »

حاول أن يقول شيئاً لكن الغرفة راحت تتراقص ،
وأدرك أنه سيفقد وعيه .. كانت تنظر له برعب لا
يوصف وتردد :

- « ماذا دهاك ؟ »

ثم وهي تتراجع :

- « ذهبت للمكتب فقالوا لي إنهم يعتقدون أنك هنا ..
أردت أن أعتذر لك .. فكرت أنك كنت تتسلى على (ديف)
لكنه قال إن هذا لا يصدر عنك .. وإليك كنت يوماً لطيفاً
معه .. »

ثم فكرت قليلاً وقالت :

- « (سام) .. أحسب أن عليك أن تفهم شيئاً عنى
وعن (ديف) .. أحسبك تعرف موضوع (ديف) لكن
بصدي أنا .. »

- « أعتقد أنني أعرف .. لقد رأيتك من النافذة في
(شارع الزاوية) .. »

- « نعم .. فهمت . لكن ماذا حدث لشعرك ؟ »

شعري ؟ كانت تخرج له امرأة صغيرة من حقيبتها
لكنه كان قد خمن ما هنالك قبل أن يراه .. منذ الثامنة
والنصف صباح اليوم صار شعره كله أبيض ...

٤

في سيارتها الداتسون أثناء العودة من المكتبة سأله
عما دهاء .. إن شعره لم يبيض فقط بل يبدو كأن
وجهه تقدم في العمر عشرين عاماً .. قال لها :

- « ما أريد معرفته هو من هي (أردينيا لورتز) ..
اعنى ما أقول فعلاً .. »

أوقفت السيارة وقالت وهي تنظر له :

- « إذن أنت لم تكن تمرح ؟ »

- « لم أكن لمزح .. »

- « لكن هذه المرأة ميتة .. »

- « أعرف هذا كما أعرف أنني أريد معرفة ما تعرفين

عنها .. »

أدارت المحرك وقالت :

- « لا أعرف الكثير .. كنت في السابعة عندما ماتت ..

معظم ما أعرفه سمعته من ثرثرة الناس .. كانت تنتمي

إلى الكنيسة المعمدانية في (بروفيربيا) لكن أمي لا تتكلم

عنها .. يعتبرونها لم توجد قط .. »

قال لها :

- « هذا ما فعله مستر (برليس) في مقاله عن المكتبة

الذي كنت أطلعه عندما وضعت يدك على كتفي ،

وأخذت ١٢ عاماً من حياتي .. »

قالت له :

- « كانوا يتكلمون عنها في مجموعة (المدمن

للمجهول) .. لقد ظهرت في البلدة حوالي عام ٥٧ أو ٥٦ .. »

روايات مصرية للجيب .. روايات عالمية ٨٧

عملت في المكتبة .. ثم مات المدير (لافين) فجأة بعد

عامين .. نوبة قلبية أو فالج .. لذا تولت (أرديليا

لورنر) الوظيفة .. يقولون إنها كانت جيدة حتى فعلت

ما فعلته .. لقد قتلت طفلين ثم انتحرت .. عام ١٩٦٠

فقد طفلان وبحسوا عنهما . لم يفكر أحد في المكتبة

لأنها كانت مغلقة في ذلك اليوم .. وجدوهما في المكتبة

في اليوم التالي إذ جاء موعد فتحها فلم تفتح .. هناك

نوافذ في سقف المكتبة .. لقد صعدت هي على أحد

السلام العملاقة هناك وعلفت حبلاً في نافذة وشنقت

نفسها بعد ما قتلت الطفلين «

- « فهمت .. وكيف قتلتها ؟ »

- « لا أعرف . لم يقل أحد شيئاً عن هذا . لكن

لا بد أن المنظر كان بشعاً .. »

- « بالتأكيد .. »

- « والآن ماذا حدث لك ؟ »

- « أولاً أريد أن أقابل (ديف) .. »

- « أنا آسفة لما حدث أمس . سأبحث عن (ديف)

في المايو لكنك لن تضايقه «

- « (ناعومى) .. إنه جزء مما حدث لى »

- « مستحيل »

قالتا بنغمة (دعنا ننهى المناقشة) .. وأضافت وهما
يقتربان من (شارع للزاوية) :

- « حاول أن تفهم الأمر .. لو عاد (ديف) لتعاطى
الكحول لمات .. تذكر هذا .. لا أعرف إن كان أهل
الأرض قادرين على فهم ما أقول »

- « أهل الأرض ؟ ماذا تعنين بهذا ؟ »

- « الناس الذين لا يشربون الخمر ولا توجد عندهم
مشاكل بصدد المخدرات أو الأقراص المهدنة أو أدوية
السعال .. الناس القادرون على إصدار الأحكام .. »

قال لها :

- « أما أنا فمشكلتى هى كتابان فقدتهما وقد انتهيا
وسط هذه المخلفات .. ولو لم يظهر قبل منتصف الليل
لفظرت بى شرطى المكتبة .. عندها أستبعد أن تبقى منى
المسترة التى ألبسها »

فى شارع الزاوية قابلا (ديف) .. وحينما تكلم كان
ينظر لـ (سام) فى ذهول ..

قال لهما :

- « لقد دنت نهايتى .. الخمر قضت على بنكرياسى
وكبدى .. ومن الواضح أننى سأخذ إجازة أبدية قريبا ..
فقط أعرف أن هناك نكريات معينة عشتها، وهذه النكريات
تتعلق بالمرأة اسمها (أرديليا لورترز) .. لقد خبات هذه
النكريات فى بديوم قلبى .. ثم أغلقت بابا عليها ثم أحكمت
إغلاق الباب بالحديد وألقيت فوقه أغطية لتداريه ..
أردت أن أنسى تلك المرأة وما جعلتنى أصنعه لها ..
لكنك فى مشكلة يا صاحبنى .. هل تعرف هذا ؟ »

قال (سام) :

- « أعرف .. »

- « تعرف لكنك لا تتصور أبدا مدى الورطة .. لهذا
يجب أن تكلم وليس لأننى أرغب فى ذلك .. أمس تذكرت
وجهها وكيف تغطى بتلك الخيوط الصغيرة، وكيف تغير
فمها .. تذكرت رائحتها .. هذه القذرة يجب أن تنتهى .. »

وارتفع صوته الغاضب إلى درجة الصراخ .. ثم نظر
لـ (سام) وقال :

- « سوف أشرح لك لكن يجب أولاً أن تحكى لى كل
شيء يا مستر (بيلز) فلا تغفل شيئاً .. »

- « سأفعل لكن بشرط .. سوف تتلبنى (سام) فقط .. »

- « لك هذا يا (سام) .. »

- « حسن .. لقد بدأ كل شيء بذلك الأكروبات
الأحمق »

٦

لم يتصور (سام) أن القصة بهذا الطول ، وكانت
عينا (ناعومى) تتسعان كلما مضى فى القصة .. حتى
عندما بلغ جزء الملصق (ذات الرداء الأحمر) قال (ليف) :

- « هذا هو الملصق الوحيد الذى لم أرسمه ، لكنها

كانت معجبة به بشكل خاص .. »

واصل (سام) السرد حتى بلغ الجزء الخاص بشرطى
المكتبة .. هنا انتهت قواه وبدأ موشكاً على البكاء
وراح يرتجف ..

روايات مصرية للجيب .. روايات عالمية ٩١

قل لـ (ناعومى) :

- « هل لى فى كوب من الماء ؟ »

- « طبعاً .. »

وقبل أن تذهب لتحضر الماء من داخل البناية لثمنه
على خده .. كانت شفتاها دافنتين ناعمتين ، وهمست
فى أذنه بكلمتين مقدستين :
- « أنا أصدقك »

٧

أمسك (سام) كوب الماء بيديه كى لا ينسكب ..
وشرب جرعة كبيرة ثم سأل (ليف) :

- « هل تصدقنى أنت أيضاً ؟ »

- « نعم .. »

قالها (ليف) بلهجة من فرغ من أمر ما .. وأدرك
(سام) أنه صادق فهو قد عرف (أرديليا) وواضح من
وجهه أنها لم تكن معرفة طيبة ..

- « شرطى المكتبة الذى رسمته لها كان بلا ندوب
على وجهه .. أنت أضفت هذه الندبة من ذكرياتك

الخاصة وهذا يعنى أن عندك نموذجاً لشرطى المكتبة ..
أما النجمة متعددة الرؤوس كما تسميها ، فقد رأيته في
المكتبة .. اسمها (صليب مالطة) وكان الفرسان
الصلبيين يضعونها على صدورهم أيام الحملات
الصلبية .. المفترض أنه كان لها تأثير سحرى ..
والآن يا بنى دعنى أحك لك قصتى .. لم أحكها من قبل
قط ولن أحكيها ثانية أبداً .. لذا دعنى أتكلم »

★ ★ ★

الفصل الحادى عشر

قصة ديف

١

لم أكن (ديف دنكان) السكر منذ ولدت .. فى أوائل
الخمسينات كان هناك (ديف دونكان) البسيط الذى
يحببه الناس .. كنت عضواً فى ذات نادى الروتارى
الذى خطبت أنت فيه .. ولم لا ؟ كنت رساماً وخطاطاً
.. كنت ما يسمونه هذه الأيام رساماً جرافيكياً لكن
وقتها كان اسمى رسام إعلانات .. لم أكن قد درست ..
جربت ورسبت لكن قلت لنفسى إن هناك فنانين كثيرين
لم يظفروا بشهادات .. يتحدثون فى AA عن الأشخاص
الذين يضعون ساقاً فى الماضى وساقاً فى المستقبل
وهكذا يبولون على الحاضر .. لكن ليس بوسعى أن
امنع نفسى من التفكير لو أن حياتى اختلفت قليلاً ..

كنت قوياً وغير متزوج وكان دخلي يكفينى .. كان هذا
عندما جاءت (أريديليا لورتز) للبلدة .. لم تكن كما
رأيته أنت أمينة مكتبة عجوزاً .. كان شعرها أشقر

وكانت جميلة .. وكان الرجال فى بروفيريا يلاحقونها ..
أعرف انهم اليوم يقولون : عرفت منذ البداية أن شيئاً
على غير ما يرام يحيط بتلك المرأة (لورترز) .. لكن
أؤكد لك أن الأمر مختلف .. كانوا يحومون حولها
كالذباب .. وقد ظفرت بوظيفة المكتبة بعد قدومها
بشهر .. بالإضافة لهذا كانت تدرس للأطفال فى
مدارس الأحد .. لا أعرف ماذا كانت تدرس ولا أحب
أن أعرفه الآن لكنه لم يكن الإيجل بالتأكيد .. برغم هذا
كان الأطفال يحبونها ..

هذه التفت عيناى بها . ربما لن تصدق ما أقول
لكنى كنت شاباً وسميماً وفكها . وكانت بطنى مسطحة
مثل مكواتك الحديدية يا (سارة) ..

كانت تسكن فى بيت جوار الكنيسة وكان بحاجة لطلاء
من الخارج .. هكذا قابلتنى وعرضت على أن أقوم بهذا
العمل . كنت تلبس ثياباً محشمة تناسب امرأة عجوزاً لكن
لم أقل إن عينيها كانتا كذلك .. لا يا صاحبى .. لم تكن
عيناها كذلك ..

ثم نظر (ديف) لـ (ناعومى) وقال :

- « ربما كان عليك أن تنصرفى قبل هذا الجزء ..
إن القصة متسوء بعد قليل .. »

لمست كتفه وقالت :

- « استمر يا (ديف) .. »

هكذا انصرفت معها لدارها تاركة كل الشباب واقفين
على باب الكنيسة ينفخون ويسبوتنى . لم يعرفوا كم
هم محظوظون ! لم تكن لديها سيارة فركبنا سيارتى
الفورد وانطلقنا .. تخيل شابين فى طريق (ترومان)
فى ظهر يوم من أيام الصيف وسط مليون فدان من
قمح العم (سام) الذهبى على جانبى الطريق .. صوت
القمح الغريب برغم أنه لا يوجد نسيم .. جدى كان
يقول إن هذا صوت القمح إذ ينمو ..

توقفت بناء على طلبها لأنها صاحت وهى تشير
باتجاه معين : هذا هو البيت .. هل تراه ؟

هكذا نزلت معها .. فوجئت بأنها تركض وسط صفوف
القمح لكنها لم تجرح ولم تؤذ عوداً .. جريت وراءها
فوجدتها احتفت .. هنا سمعت صوتها من خلفى تقول :

روايات مصرية للجيب .. روايات علمية ٩٧

يبدو أننى وجدت الكثير من الفرص لأن مستر (لافين) كلمنى بصراحة عن ذلك، هكذا وعدته بأن أطلبى للمكتبة من الداخل على سبيل الرشوة، كنت واقفاً تحت سحر امرأة لم تكن على الإطلاق امرأة ..

أذكر كيف علقت ملصق (ذات الرداء الأحمر) قبل وفاة مستر (لافين) بشهر .. لقد اقتادت طفلاً مذعوراً لتربيه الملصق ثم سألته: هل تعرف لماذا يحدث الشيء المخيف لذات الرداء الأحمر؟ لأنها لم ترجع كتب المكتبة فى وقتها .. كان هذا الصبى هو (مالكوم) الذى قُتل بعد أعوام فى حرب فيتنام .. ورأيت الرعب فى عينيه، وهو ينظر لى كأنه يقول: ساعدنى!!

مستر (لافين) لم يحب الملصق وقد لاحظ كيف يخافه الأطفال .. لذا دخل فى مناقشة معها حوله .. لم أسمع ما قيل لأنى كنت على السقالة فوقى والصوت كان سيئاً .. لكنه قال إن هذا الملصق يخيف الأطفال .. ربما يشوه الأطفال، وتكلمت هى عن أن هذا يساعد على تهذيب (العناصر الشاذة) .. فى النهاية اضطرت لنزع الملصق ..

ليلتها كانت غاضبة وعصبية كنمر ظل صبى بضايقه فى قفصه بالعصا .. عيناها حمراوان كأن مخها قد

هنا .. جريت فى ذلك الاتجاه غير مبال بتدمير القمح .. العم (سام) لن يفقد هذه الأعواد ولن يلاحظ وجودها .. فقط لأجدها اختفت وتتادبنى من اليمين ..

هكذا رحت أجرى يمينا ويسارا بحثا عنها كالمجنون .. وكانت تظهر ثم تتوارى .. وأنا أدوس أعواد القمح كالثيران بينما هى لم ترهق ولم يتمزق ثوبها قط .. وفى النهاية وجدتتها أمامى وقالت:

« أين أنت؟ أنا أنتظر ك هنا منذ زمن .. »

٢

مشينا لبيتها .. وهناك جاعتى بكأس طويلة فيها شفاط وورقة نعناع .. كان الطقس حاراً فشربت جرعة كبيرة .. تباً! كل هذا ويسكى .. أبيت فزعلى فقلت فى سخرية:

« ربما تفضل بعض الشاي المثلج؟ »

لم أكن أشرب الخمر خاصة فى منتصف اليوم .. لكن منذ ذلك اليوم صرت أشربها وفى كل وقت تقريباً ..

هكذا رحت أعنى ببيتها بينما عينها مستر (لافين) للمكتبة .. وكنت أمر عليها هناك كلما وجدت فرصة ..

احترق ، وفيها بدا كأنه يحاول أن يخرج من وجهها .
قلت لها إن الموضوع تافه هين .. هنا . لا أعرف كيف
أصف هذا .. فى ثنية كنت تقف قرب الباب وفى الثنية
التالية كنت فوقى .. عيناها حمراوان وفيها متدل بشكل
لا يصدق .. وصار شعرها طويلاً إلى فخذها وقالت :

- « كف عن الكلام أيها السكير اللعين . »

كنت أعملى تنهار ولم أعد أفى بمواعيدى .. لكن لم
يتكلم أحد على وعنّها .. سمعتى المهنية ذهبت إلى
الجحيم فى سلة مشروبات لكن لم يمس سمعتها شيء ..
بعد هذا بأسبوع توفى مستر (لافين) وقيل إنها
نوبة قلبية لكنى كنت أعرف ما هو أفضل ..

لقد قالت لى وأنا نمل :

- « قلت لك إننى سأتولى أمره يا (ديف) .. لقد بكى
كالأطفال من الذعر .. »

وبدا وجهها يتغير كأننى أراه من تحت الماء .. عندها
رأيت شيئاً .. كأننى رأيت عيني حمراوين بلا أهداب وفيما
لا يغطيه لحم .. بل طبقات من مادة ما .. تتحرك ..

لحظة ثم عادت الرويا صافية .. عادت (أريديليا) من
جديد ... تصور هللى وأنا فى قلب الظلام وسط الريف
حيث لن يسمعك أحد تصرخ ..

قالت ، وقد رأت هللى :

- « لا تقلق .. لن ترى هذا ثنية ما دمت ستكون
ولداً طيباً .. ما دمت ستفعل ما أطلب منك .. الليلة أنا
سعيدة لرحيل الأحق .. سوف أتولى منصبه .. »

ظلت المكتبة مغلقة أسبوعاً (احتراماً لذكرى مستر
لافين) ثم افتحتها وكان أول ما علقته هو ملصق ذات
الرداء الأحمر .. بعد هذا طلبت منى رسم ملصقات جديدة ..
ثم ارتجف (ديف) وقال :

- « كنت أحب أن أقول إننى قلمت لكن لا .. لقد قمت
من أجلها بأعمال مريعة لا أذكرها كلها .. إنها كالشباب
القديم التى تتبرع بها كى لا تراها ثنية .. فعلت أشياء
مريعة لكن جزءاً من ذاتى فعل هذا لأنه يريد .. لكنى لم
أفعل .. لم أفعل وهذا هو الشيء الوحيد الذى يبقينى حياً ..
ولهذا قررت منها .. لكنها احتفظت معها بجزء من
روحى .. الجزء الطيب منها .. »

طلبت منى ذات مرة أن أرسم طفلاً دهمته سيارة (فسوت) جسده بالأسفلت، وتحت الرسم عبارة تقول : لأنه تأخر فى إرجاع الكتب ! رسمت رسماً كاريكاتورياً مضحكاً وعرضته عليها فنظرت لى نظرة مخيفة وقالت :

« ليس هذا ما أردت يا (ديف) .. أريد واقعية .. أريد للأطفال أن يخافوا لأن يضحكوا .. بهم يضحكون بما فيه الكفاية على كل حال .. أريد الكثير من الدم !! »

هكذا جلست أرسم فى بيتى .. وكان ما حصلت عليه رسماً مروعاً لطفل طار حذاءاه، وانتثر مخه كالزبد على الأسفلت . سائق السيارة التى دهمته هو ذات الشخص الذى يتكرر فى معظم ما رسمت من ملصقات . جاء الأطفال للمكتبة فكان تأثير الصورة درامياً ، وبكت فتاة لدى رؤيتها . رسمت شرطى المكتبة فى أكثر من صورة .. هناك صورة تمثله فى إجازة يصطاد السمك لكن الطعم الذى يستعمله هو طفل .. رسمته يضغط على أزرار تتحكم فى صاروخ ، وقد قيد طفل إلى جسم هذا الصاروخ ، وتحتها كتبت : اقرأ كل شىء عن

العلوم فى المكتبة ، لكن تأكد من إرجاع الكتب فى وقتها !

لقد حولت أنا وهى المكتبة إلى منزل رعب .. لكن هل تعرف ؟ ظل الأطفال يعودون ولم يتكلموا قط .. عندما كان الآباء يأتون كانت تستبدل الملصقات فى ثوان ولا يرى الآباء إلا مس (لورتنز) الرقيقة تجلس وسط دائرة وتحكى للأطفال حكايات عن الأميرة وحب البازلاء .. يخرج الآباء فتعود لتحكى قصصاً مرعبة .. قصصاً خيالية شهيرة تجرى عليها بعض التعديلات لتجعلها مرعبة .. وكان الأطفال يحبونها برغم هذا .. الظلمة فى ذاتها كانت تلتقى بالظلمة فى ذواتهم .. هل تفهم هذا ؟

هنا تذكر (سام) ولعه بقصة ذى الحية الزرقاء .. الأطفال يكرهون الظلمة لكنها تجذبهم ..

كانت أرديليا تحكى هذه القصص للصغار .. وقد كبروا وهم يحملونها فى أعين مخاوفهم .. صاروا محاسبين ومحامين ومهندسين لكنهم لم ينسوا ما كانت (أرديليا) تحكيه ، ولعلهم قصوا هذه القصص على أولادهم ..

« هكذا عادت الدببة إلى الكوخ لتجد أن الفتاة الشقية أكلت عشاءهم .. هكذا لقصوا عليها ولتهموها من قديمها حتى تظل حية تصرخ للنهية .. لم يبق إلا رأسها فآخذوه إلى المطبخ ووضعوه في الماء المغلي .. ثم لتهموا مخها على الإفطار .. وقالوا إنه من أشهى ما يمكن .. وهكذا عاشوا في تبات ونبات وخلفوا صبيان وبنات .. »



كان (سام) يفكر .. يفكر في كل المزارعين والبقالين والمحاسبين الذين كانوا يوماً يصفون لـ (أرديليا) في المكتبة ثم كبروا ونسوا هذا .. لكنهم عندما تهب العاصفة أو عندما ينامون ويرون الكوابيس ، فباتهم يتحولون إلى صبية مذعورين يجلسون في المكتبة في دائرة حول أرديليا ويصفون .. لا بد أن كلا منهم يحمل داخله ذكرى الدببة التي تسلق رأس الفتاة وتلتهم مخها ..

لقد تركت المرأة للبلدة تركة من الكوابيس السرية ..

واصل (ديف) قصته :

في كل مرة كان أحد الأطفال يصاب بانهيار .. عندها كانت تطلب من الآخرين التزام مقاعدهم ثم تأخذ الصبي

إلى الحمام .. دقائق ثم تعود ، وقد عاد الصبي نضراً كالأرهار .. ثم تواصل السرد ..

كنت أشعر بحيرة .. لا بد أن هناك سرّاً حول هذا .. يبدو لي كأنها كانت تحكي القصة المرعبة بانتظار هذه اللحظة بالذات .. هكذا انتظرت حتى جاء يوم أصيب فيه أحد الأطفال بحالة من الرعب أثناء حكاية صيغتها المعدلة لقصة (هانز وجريتل) فافتادته إلى الحمام ..

دنوت من باب الحمام المفتوح واختلست النظر فلم أر شيئاً لأن ظهرها كان لي .. فقط كانت يدا الصبي على تنورتها ، وسمعت صوت امتصاص .. دنوت أكثر فوجدت أنها لا يمكن أن تشعر بي .. لا يمكن أن ترتني لا هي ولا الصبي لأن عينيها مغمضتان .. دنوت أكثر فأكثر ونظرت .. فوجدت بأنها تلصق وجهها بوجه الطفل .. لم يعد وجهها بشرياً .. كان أقرب إلى الوجه الذي رأيته قبل وفاة (لافين) .. لقد استطالت ملامحها ولم تعد لها شفتان .. فقط صار هناك لون أحمر يحدد أحمر الشفاه الذي كانت تضعه .. وجهها تحول كله إلى ما يشبه الممص .. وكان هذا الممص يخرج إلى وجه الطفل .. لقد كانت (أرديليا) تمتص شيئاً من عيني الطفل !!

نظر (سام) إلى (ديف) مذهولاً وتساءل عما إذا كان الرجل قد فقد عقله ؟ الأشباح شيء وهذا الذى يقوله شيء آخر .. لكنه رأى الصديق فى عيني الرجل فقال لنفسه : لو كان يخرف فهو لا يعرف هذا ..

قال (ديف) :

- « كانت تمتص دموعه .. كان رأسها يمتصها من عيني الطفل وهو ينبض كالقلب .. أما دموع الصبي فبدت لى كأنها لحم ذائب .. وهى تواصل هذا للصوت الذى يقول (سليرب) .. لقد كانت تشرب خوفه .. لقد جعلته مادياً .. »

سأله (سام) :

- « تريد القول إن (أربيليا) كتبت نوعاً من مصاصى الدماء .. هه ؟ »

- « أعتقد هذا .. كل القصص عن مصاصى الدماء صحيحة لكنهم لا يمتصون الدم .. أعتقد أنها امتصت ذات الشيء من مستر (لافين) .. إنه ليس للدم .. إنه الخوف .. »

كنت أراها تواصل الامتصاص حريصة على كل قطرة ، وقد استطال هذا الجزء الذى تمتص به .. عرفت أن الوقت حان كى أرجع بسرعة .. هى لم تتأخر فى الحمام من قبل أكثر من خمس دقائق . لو صحت من غيوبتها لرأيتى وعندها تقتلنى حتماً ... لم أحسب أننى قادر على العودة بسرعة .. وقد اصطدمت بباب الحمام .. جريت لقاعة المكتبة نصف مجنون !

قررت أن أفر من المكتبة للأبد ، ثم وجدت أنها لن تتركنى .. متعرف أننى رأيت ما رأيت وليسوف تلاحقنى أبداً .. هكذا فعلت أصعب شيء فى حياتى وهو أن عدت لقاعة المكتبة ، فلم تلمس مؤخرتى المقعد ثابيتين حتى كانت قد عادت ومعها الصبى فى خير حال ..

جلست مع الأطفال أصغى للقصة ، وعندما انتهت القصة رحت أشرب .. أشرب .. وحتى اليوم ما زلت أشرب ..

لا بد أن أربعة أشهر مرت .. عندما تصير سكيرا لا يعود للزمن معنى ولا ترى الفصول إلا من خلال زجاجة .. فقط قالت لي ذات ليلة وكنا في بيتها لأنها لم تأت بيتي قط :

- « أشعر بالنعاس يا (ديف) .. يبدو أن على النوم من جديد .. لكن عندما أنام للأبد هذه المرة يجب أن تكون معي .. لقد أخزمت بك .. »

ارتجفت رعبا وقد فهمت ما تعنيه لكنها قالت ضاحكة :

- « لا أتكلم عن الموت بل عن النوم .. لكن عليك أولاً أن تأكل مما آكله ! »

ولم تفهم أنني فهمت ورأيت . ثم راحت تسألني عن الأطفال .. من الشقى فيهم ؟ من السيئ ؟ « إنهم سينون لا يستحقون الحياة ! إنهم مخربون .. فظنون .. يعيدون الكتب وقد امتلأت بالرسوم .. من تعتقد أنه يستحق الموت يا (ديف) ؟ »

كان هذا هو الوقت الذي قررت فيه أن أفر .. حتى لو احتاج الأمر إلى قتل نفسي ..

كانت تتغير .. شعرها صار خشناً وجلدها امتلأ بالبثور .. وفمها صار مقلوباً للداخل وعليه خيوط صغيرة .. قالت لي :

- « لا تتلق .. هذه التغيرات طبيعية كلما قرب وقت نومي .. يجب أن تقرر سريعاً ما إذا كنت ستنام معي أم ترفض .. عندها يجب أن تخبرني لأنهي الأمر معك الليلة بطريقة ناعمة بلا ألم .. »

كنت لا اصدق أن هذه راحة فم وليست طعام كلاب فهد .. وقلت لها إنني راغب في أن أكون معها لكني أريد فترة لأحزم أمري .. فوافقت ..

مدت شفتيها من هذه المسافة الطويلة لتلتئم خدي .. فتمايمكت كي لا أصرخ ..

وضحك (ديف) ضحكة منهكة لم ينسها (سام) للأبد بعد هذا .. وقال :

- « لا يهم .. إنني ما زلت أصرخ في أعماقي منذ تلك اللحظة حتى اليوم ! »

كنت قد انقطعت عن العالم الخارجى تماما .. هل تذكر
عندما قلت لك اننى كنت فى نلادى الروتارى يا سام ؟
حسن .. فى عام ١٩٦٠ صرت فى حالة تجعل من
العسير أن يعهدوا لى بتنظيف مبوله النلادى نفسها ..
الناس يروننى فيعبرون الشارع كى لا يتكلموا معى ..
اعتقد اننى كنت سأرحل معها لعالمها لو لم يكتشفوا
امرها ..

انحنى (سام) للأمام سائلاً :

« من الذين اكتشفوا ؟ »

« نائب الشريف (جون بلور) .. إن الشريف (نورمان)
لم يكن يساوى شيئاً .. كان جمهورياً وهو الدليل الحى
على أن الشريف يجب أن يعين ولا ينتخب .. فقد فاز
بأغلبية ساحقة لكنه كان قطعة من القنورات بحجم بغلين
.. لكن كان سر نجاحه هو احتفاظه بنائب ذكى بارع ..
لقد مات نائب الشريف فى سن الثلاثين وقيل إنها نوبة
قلبية .. لا أصدق هذا .. ليست سوى نوبة قلبية كالتى

أصابته (لافين) من قبل .. هى قتلتة .. كان هناك ثلاثة
أطفال يجب أن يموتوا فى المكتبة اليوم التالى .. «
نظر له (سام) وقال لنفسه إنه لو كان هذا الرجل قد
رأى ما رآه طيلة ثلاثين عاماً ، فإنه قد تحمل ما لا
يتحملة بشر ..

« طفلان اختصت بهما نفسها .. أما الطفلة الثالثة
فقد ارتكبت خطأ عندما سلطت الضوء عليها وكانت تريد
الظلام .. وقد خصصت لى أربيليا هذه الطفلة كى تساعدنى
على أن أكون معها .. كانت هذه نصيبى أنا .. الطفلة
كانت (تاتسى بلور) ابنة نائب الشريف .. »

هتفت (ناعومى) غير مصدقة :

« هل تمزح .. أنت تتكلم عن (تاتسى) التى تحضر
جلسات AA معنا ؟ »

قال (ليف) :

« معظم الأطفال الذين كانوا يحضرون للمكتبة يعالجون
اليوم فى AA من إيمان الكحول .. عام ١٩٦٠ كدت
أقتل (تاتسى بلور) .. اقتربت من هذا جداً وليت هذا
أمراً ما فى الموضوع .. »

٨

أكثر ما بقي حكته هى لى .. كانت قد منعتنى من الاقتراب من المكتبة منعا للقليل والقال ، كما منعتنى من زيارة بيتها قبل منتصف الليل ..

لذكر تلك الليلة جيدا لأنها لم تكن ناعسة كعهدي الأخير بها .. كانت عصبية غضبي ، تدور بلا توقف فى المكان .. راحتها تزكم الأنفاس وعيناها كانتا حمراوين تشعان ، ولم أكن أتخيل هذا لأن اللون انعكس على نراعى .. وشيء يشبه الزيت يتساقط قطرات منها .. ورأيت أن كل ثنية فى جلدها مغلقة بغشاء رقيق .. كأن جلدها قد صار له جلد .. هل تريد أن تسمع شيئا مضحكا ؟ كلما دخلت مدينة ملاه أخاف الاقتراب من آلة صنع (غزل البنات) لأنه يذكرنى بما رأيته على جلدها فى تلك الليلة .. لقد كانت تنسج شيئا يشبه ما تنسجه اليرقات حول نفسها .. كانت تصنع شرنقة ..

كانت تضرب الجدران بقبضتها فتهدمها .. ربما تهدم العظام كذلك ، لكنها لا تبالي .. ما كنت أراه وأسمعه يشبه قطرة أنثى غاضبة ..

- « (جون باور) !!! »

ثم كانت تلکم الجدار !

- « (جون باور) ! سوف ترى .. أنت لن تجرؤ على اعتراض طريقى ! »

لكن لو رأيت وجهها لرأيت مزيجا من الغضب مع الخوف .. ومعها الحق فى القلق .. فقد كان نالبا المأمور نكيا شجاعا ..

هنا رأيتى فقالت :

- « (ديف) .. تعال لتشرب شيئا .. »

كانت تشتهي قلبي بلا شك .. لكنها كانت بحاجة إلى .. كانت تريد قتل (تاسى باور) .. كانت تريد قتل الشرطى لكنها تريد أن يعرف أن ابنته ماتت أولاً ..

سألتنى إن كنت أعرفه فقلت إنه اعتقلنى مرة بتهمة السكر ، واعتقد أنه رجل شديد المراس .. فقالت :

- « هذا الوغد جاء المكتبة اليوم وسألنى عن شهادتى .. أراد أن يعرف أين كنت قبل أن أتى هنا .. أين تربيت .. لكننى سوف ألقنه درسا .. »

لكنها كانت خائفة .. لقد اختار أسوأ وقت لتوجيه أسئلة لها لأنها كانت موشكة على السبات .. وهذا يضعفها كثيراً ..

سألت (ناعومي) :

- « ما الذى جعل نائب الشريف يشك ؟ »

- لا أعرف .. فهي لم تكن تجعلهم شاكبين كما يفعل مصاصو الدماء فى الأفلام ، لكن برغم هذا كانوا يفقدون شيئاً ما .. (جون باور) لاحظ هذا أو أحس به .. جاء المكتبة وليس فى ذهنه شيء لكنه نظر لها برية ، وهي كانت تفقد صوابها متى نظر لها أحد برية ..

قالت لى إنها ستكون فى المكتبة غذا ليراها الجميع .. سيكون على أن أسأل إلى بيت نائب الشريف لأخطف الطفلة ، وأقطع حنجرتها ثم أتركها حيث هى ليراها أبوها .. ظلت صامتة وكان هذا لمصلحتى لأن أى شيء أقوله كان سيطيح برأسى ..

طلبت منى أن أخطف الفتاة صباحاً على أن أختبئ حتى يأتى المساء لأنه لو قبض على قبل ذلك فلن

تستطيع مساعدتى .. وقالت إنها سترتب أن يتواجد طفلان آخران فى المكتبة غذا .. وحين يجدوننا سيحبسون لنى وهى قد متنا لكننا لن نكون كذلك ..

حين رحلت صباحاً قالت لى ألا أخذها وإلا قُلتنى وكانت مبتلى ثم مينة ..

هكذا رحلت وقد عرفت أنني لن أتحمل أن أراها مرة أخرى .. لم أكن راغباً فى إيذاء (تاتسى باور) لكنى كنت عاجزاً عن مخالفة أوامر (أردوليا) .. كان كل ما أفكر فيه هو أنني قادر على التنفيذ .. سوف أمزق حنجرتها بسرعة ولن تدرك ما حدث لها .. «

وبحث (ديف) عن (باتدانا) فى جيبه أخرجها وتمخط فيها .. ثم واصل الكلام :

- كنت أمر جول المتجر الكبير عندما نظرت للزجاج فرأيت أكواما مكومة من جثث الأطفال الصارخين .. توقفت وأغمضت عيني ثم فتحتها .. لا .. كانت دمي وضعها صاحب المتجر للعرض .. من جديد شعرت بأنها جثث أطفال .. فى هذه اللحظة صليت .. شعرت بأن هذه رسالة من الله تخبرنى بأن الوقت لم يضع بعد ..

حتى لو لم أفقت من (أرديليا) فما زال بوسعى ألا أغوص فى الحفرة معها .. هكذا اتجهت لكابينة هاتف عند متجر (بيجلى وبيجلى) ، ودسمت حجريين صغيرين فى فمى وطلبت نقطة الشرطة .. كان من رد على هو (باور) نفسه .. ارتجفت ذعرا وكدت أغلق الخط ، ثم تكلمت وكان صوتى غريبا بسبب الحجريين .. قلت له : أبعد ابتك عن البلدة ، ولو كنت تجد لها قيمة فأبعدها عن المكتبة .. ثم وضعت السماعة .. كنت أتمنى لو قلت أكثر لكنه كان عدوانيا ، وشعرت بأننى لو بقيت أكثر لرأيتى عبر خط الهاتف .. الآن لم أعد أرى أى شىء سوى خطر أرديليا .. هل رأيت طائرا محبوسا فى المرآب من قبل ؟ كنت أنا أجرى مذعورا فى كل اتجاه بذات الطريقة .. ثم اتجهت لرصيف المحطة حيث تواريت تحت مقعد طويل ونمت يومين كاملين . يبدو أن الضغط العصبى الذى عشته عامين فى تلك الرحلة الممتعة لجهنم قد استبد بى فى النهاية .. كأن عقلى قد قرر أن ينزع القابس لبعض الوقت .. وحين أفقت شعرت بما تشعر به بعد اقتزاع ضرس لك .. كانت هناك فجوة لكنها فى عقلى هذه المرة ..

خرجت من هناك ووقفت أمام بائع الصحف .. عرفت أن يومين مرا على نائمنا .. كما عرفت أن شرطة البلدة تفتش عن طفلين مفقودين .. وأن نائب الأمور توفى بنوبة قلبية .. لم تبد الجريدة قلقا على الطفلين بل اعتبرتهما فارين لأنهما كتبا شقيين بحق .. على أننى عرفت أنهما متا وأن جثة أرديليا معهما .. وهذا ما وجدوه فى اليوم ذاته .. لسبب ما كانت تريد حياتى الطفلين ، ولا تسألنى عن السبب .. ربما تفعل كما تفعل النبيلة التى تملأ بطونها قبل البيات الشتوى .. لقد أنقذت (تسمى) وأنقذت نفسى لكنى لم أر فى ذلك أى عزاء ..

أعرف أن أرديليا عرفت اننى تكلمت .. لابد أنها بحثت عنى بعينها التى ترى كل شىء .. لكنى كنت فى شبه غيبوبة فلا بد أنها عجزت عن العثور على روحى .. لو وجدتنى فأنا غير قادر على تخيل ما كانت ستفعله بى انتقاما .. كان وقتها ضيقا والتحول قد بدا .. لكن فرصتها فى الانتقام جاءت من جديد ..

نظر له (سام) مندهشا :

« ماذا تعنى ؟ »

- « أنت قابلتها فى المكتبة .. وأنا من نقل الكتب من دارك إلى تدوير المخلفات .. لابد من رابط هنا .. إنها تريدنى لتقتلنى وسوف تفعل ذلك ، لكنها قد تريدك لتلعب معها الدور الذى لعبته أنا ! »

هتف (سام) ساخراً :

- « ربما كانت قبلة جمال فى الماضى .. لكن الآن .. هى ليست طرازى صدقى !! »

قال (ديف) :

- « يبدو أنك لا تفهم .. هى لا تريد علاقة معك يا (سام) .. بل تريد أن تكون أنت ! »

٩

قال (سام) فى ذهول :

- « انتظر هنا لحظة .. »

- « بل انتظر أنت .. أنت مناسب لها جداً لأنك غير متزوج وتؤمن بشرطى المكتبة وتعرفنى ولا أصدقاء لك فى البلدة »

قال (سام) :

- « أما هذه فلا .. لقد صار لى صديقان عزيزان فى البلدة هما أنت و(سارة) .. »

واصل الرجل :

- « أعتقد أنها ستفرغ منك كل ما يجعلك (سام) ، كما يفعل الصبى بثمرة (اليقطين) فى (الهالوين) .. ثم تلبسك كالرداء .. من أين جاءت هى ؟ أنا مؤمن أنها كانت تلبس جلد امرأة حقيقية اسمها (أرديليا لورنز) كانت تعيش فى (أيووا) أو (مين) .. الآن سوف يتحرك (سام بيلز) لكنه لن يكون هو .. سيظهر فى بلدة أخرى ويجذب انتباه الأطفال .. سوف يحبونه لكنهم سيخافونه بالقدر ذاته »

- « وبالطبع سيكون أمين مكتبة ! »

* * *

الفصل الثانى عشر

إلى (دوموان) جواً

١

نظر (سام) لساعته فدهش لما وجد أنها الثالثة عصراً .. بقيت تسع ساعات على منتصف الليل ، وهو آخر موعد حدده له شرطى المكتبة . فسأل (ديف) :

- « ماذا أفعل يا (ديف) ؟ أبحث عن قبر (أورديليا) وأخمد وتذاً فى قلبها؟ »

- « فكرة ممتازة .. لكن السيدة قد تم حرق جثتها ! »

شهق سام فى خيبة أمل وقالت (ناعومى) وهى تضع يدها على كتفه :

- « مهما كان ما ستفعله فلن تفعله وحدك .. لا تنس أننا صديقاك »

قال لها :

- « لا أعرف ما يجب عمله ما لم أفر طبعاً .. »

قال (ديف) :

- « سوف تمضى ليلة الليل فى القيادة ثم تجدها بانتظارك فى نهاية الرحلة .. هناك حل أبسط .. ثمة مكان يدعى متجر (بيل) للكُتب فى (دوموان) .. لو كان فى وسع شخص مساعدتك فهم قادرون هناك .. »

قالت (سارة) وهى تغادر المكان :

- « سوف أتصل بهم أولاً لأؤكد قبل أن نقطع المسافة بلا طائل .. »

فكر (سام) قليلاً فقال (ديف) :

- « لا وقت للذهاب بالسيارة .. سيكون عليك و(سارة) أن تقصدا المطار فى (بروفيربيا) .. (سومز) لديه طائرة (نافاهو) صغيرة ويمكن أن يأخذكما إلى (دوموان) ويعود بكما حوالى التاسعة مساءً .. سوف يقول لكما إنه كان يجب أن تحجزا من قبل .. وإنه لا يستطيع .. قولاً له إن (ديف دونكان) هو من أرسلكما وإن الوقت قد حان لدفع ديون البيزبول »

- « وما معنى هذا ؟ »

- « لا شأن لك .. فقط سوف يوصلكما ، وعندما يعود
بكما لا تأتيا هنا .. اركبا السيارة إلى البلدة .. إلى
المكتبة »

قال (سام) :

- « أنا مسرور بصداقتكما يا (ديف) .. لكن يجب
أن أتولى أمر نفسي من هنا .. لقد كان الخطأ خطئى
عندما أبقيتها من جديد .. »

اعتصر (ديف) نراعه وقال :

- « إذن أنت لم تسمع ما أقول .. لم يكن هذا خطئى
ولا خطئك .. لكن عليك أن تبقى مع (سارة) .. (سارة)
الآن تعرف كل شيء عن أرديليا وهذه الأخيرة لن تترك
من يعرف سرها حيا .. لهذا تذكر .. لو أردت أن
تحصى (سارة) فعليك أن تكف عن لعب دور البطل »

ثم أضاف :

- « ثمة شيء آخر .. يجب أن تتذكر من هو شرطى
المكتبة الخاص بك .. يجب أن تتذكر من عرفته فى
حياتك ويحمل ذات الوجه .. هذا سيفيدك كثيرا »

٢

سأل (ديف) (سارة) :

- « هل ما زالت المكتبة تغلق فى الثامنة مساء ؟ »

- « هذا صحيح .. »

- « إذن سلاذهب هناك فى الخامسة .. وسوف ألقكما
عند باب الشحن بين الثامنة والتاسعة .. والآن
الحقاً بـ (سومز) بسرعة لأن النهار أوشك على
الانتهاء .. »

قالت له (سارة) :

- « شكراً على ما حكيت لنا .. »

- « لقد أراحنى هذا على كل حال .. »

مد (سام) يده ليصافحه ثم فكر فيما هو أفضل ..
احتضنه بحرارة ..

وجد (سام) و(سارة) (سومز) في الحقل خلف داره .. وكان رجلاً فارغ الطول في الستين له عينان غاضبتان وبشرة تشعرك بأنه نال نصيبه من شمس الصيف مع أن الربيع لم ينته بعد ..

بدا المكان حقلاً لـ (سام) لكنه رأى طريقاً متربنا تقف فيه طائرة (نافاهو) صغيرة .. من ثم أدرك أن هذا هو مطار (بروفيربيا) الذي تكلم عنه (ديف) .. مطار في حقل ليس فيه سوى ممر واحد متسخ بالتراب .

قال (سومز) عندما سمع طلبهما :

« مستحيل أن أقبل .. عندي خمسون هكتاراً يجب حرثها في حقل .. كان يجب أن تخبراني منذ أيام .. »

قال له (سام) ما قاله (ديف) .. على الرجل أن يدفع ديون البيزبول .. بدا على الرجل أنه موثك على

ضرب (سام) ثم هدأ واتجه إلى التراكاتور ليعده عن الطريق ، وطلب منهما أن يقفا جوار الطائرة .. وأن يأخذا الحذر من روث الماشية حتى لا يتلوث حذاءهما ..

لكن ما إن ابتعد حتى نسيا أين يوجد روث الماشية والوحد ، وسرعان ما وجدا أنهما غرقا في القذارة إلى حد أنهما انفجرا في الضحك ..

كانت الرحلة خلف (سومز) في الطائرة مرعبة فعلاً . وخطر لـ (سام) أنهما سيهزمان (أرديليا) بطريقة لم تخطر لها ببال من قبل .. سوف تتلاشى جثاهما لتتناثرا فوق حقول قمح (أيوا) ..

وفي الرابعة وعشرين دقيقة انحدرت الطائرة لتهبط في مطار المقاطعة في (دي موان) .. وساعد (سومز) (سارة) على النزول من الطائرة .. شعر (سام) بغيرة وهو يرى خدي الفتاة المتوردين

وحماسها بعد رحلتها الأولى بالطائرة .. وقالت وهي تهبط :

« رافع .. رافع ! »

قال (سومر) :

« بالفعل ما زلت أراه كذلك .. هذا أفضل من قضاء العصر على التراكاتور الذي يوشك على امتزاع كليتي .. ليس هناك مشهد أجمل من رؤية وجه فتاة شابة بعد أول رحلة بالطائرة لها .. »

قال (سام) :

« نحن ذاهبان إلى مكان يدعى متجر (بيل) للكتب .. فهم يحتفظون بكتابين لنا .. »

نظر لهما في ذهول :

« أعرف متجر (بيل) .. لكن ما أريد فهمه هو : لقد جعلتماني أظير فوق الولاية كلها من أجل كتابين في مكتبة ؟ »

ثم لمس يديه في جيبه وقال :

« على كل حال كنت مدينًا لـ (ليف) بهذا منذ عشر سنوات .. تذكر أنه يجب أن أعود لـ (جانتشان) بمرعة قبل أن يهطل المطر لأن هناك منطقة ينخفض فيها الضغط الجوي »



كان متجر (بيل) يشبه الجرن وهو ينتصب على قمة الشارع نقيضًا لكل متاجر الكتب التي توجد في مراكز التسوق الكبرى . ومشت (ناعومي) إلى الموظف المكلف بخدمة العملاء .. قالت للموظف إن اسمها (ناعومي هجنز) ..

« لقد اتصلت بك من قبل .. »

قال الموظف :

« نعم .. ومد يده إلى الأراج التي خلفه وأخرج كتبين .. الأول كان (رفيق الخطباء) والثاني كان (أكثر الأشعار شعبية لدى الأمريكيين) .. لم يسر (سام)

برؤية كتابين فى حياته قط مثل هذه اللحظة ، وقاوم
رغبة قوية فى انتزاعهما من يد الموظف ليحتضنهما ..

قال الموظف :

- « كتاب الشعر سهل .. لكن (رفيق الخطباء) صعب
جداً .. مكتبتنا هى الوحيدة التى تحتفظ بنسخة منه من
هنا حتى (لنفر) .. »

وكان ثمن الكتابين خمسة وعشرين دولاراً .. لذا هتف
(سام) وهما يغادران المتجر :

- « لا أصدق ! لا أصدق أن الأمر بهذه البساطة »
واتجهوا إلى المطار حيث كان (سومز) يعنى بطئرتة ..

الفصل الثالث عشر

شرطى المكتبة

١

فى طريق العودة حكى لهما (سومز) كل شىء عن
دين البيزبول .. لقد كان له ابن مصاب بسرطان الدم
وقد اقترب من النهاية ، وأمره الأطباء بألا يحضر
مباريات البيزبول .. لكن الصبي كان يعشق اللعبة ..
لهذا جاءه (ديف) الذى كان صديق أبيه وقال إنه
سيجلب له أشهر اللاعبين .. لم يصدق الرجل ما قام به
(ديف) ولم يتصور أنه بهذه الموهبة .. لقد سهر
عشرة أيام يرسم وجوه لاعبي الفريق القومى على
كرات البيزبول .. رسمهم بدقة وفن .. ليس هذا
فحسب .. بل جعل كل لاعب فى الفريق يوقع تحت
صورته .. هكذا جاء لفراش الطفل المريض وسكب الكرات
أمامه فقم يصدق الطفل عينيه .. لم يره أبوه سعيداً بهذا
الشكل من قبل .. فى الأيام التالية ساءت حالته أكثر
لكنه ظل يحتضن كيس الكرات حتى اللحظة الأخيرة ..

قال (سومز) وهو يجفف دمه :

- « (ديف) فعل هذا لابنى .. بعد هذا يسخرون منه فى البلدة ويطلقون عليه (ديف) القنر .. لو سمعت أحدهم يقول هذا ... »

وشعر (سام) بالخجل لأنه كان يستعمل ذلك اللقب قبل أن يعرف (ديف) جيداً ..

نظرت (ناعومى) للأرض تحتها فرأت السيارات الذهبية تقطع طريق (أبوا) الغربية .. نظرت لـ (سام) لتشير له نحو المنظر لكنها وجدته نائماً .. لا .. ليس نائماً فى سلام .. بل هو يتعذب من المعتاة .. مدت يدها لكتفه فسمعه يقول بصوت طفل :

- « هل أنا فى مشكلة يا سيدى ؟ »

أدركت أنه الآن يقابل شرطى المكتبة .. لا .. لن توقظه .. أسفه يا (سام) .. يجب أن تخوض التجربة كاملة .. فقط حاول أن تتذكر من هو عندما تستيقظ يا (سام) .. حاول أن تتذكر ..

٢

فى المنام رأى (سام) أنه هو ذات الرداء الأحمر .. هذه المرة هو (سام) للصغير الأبيض .. به يحمل سلة ويمشى فى الغابة لكن السلة خالية من الطعام لأنه لا يوجد شيء فى البيت بعد وفاة أبيه .. كان فى السلة كتاب يحمل عنوان (السهم الأسود) لـ (ر . ل . ستيفنسون) .. وكان قد قرأه .. فى جيبه حلوى الريسوس ومذاقها يملأ لعابه ..

لم يكن ذاهباً لبيت الجدة بل للمكتبة العامة فى (سانت لويس) .. وكان عليه أن يصرع لأن الكتاب قد تأخر . حاول أن يتزع نفسه من الكلبوس لكنه لم يستطع .. (ناعومى) خارج هذه الكرة المشنومة .. لكنه لا يقدر على اللحاق بها .. يسمع هدير محرك (النافاهو) لكنه لا يستطيع العودة من الحلم ..

لا تحاول الخروج يا (سام) .. هناك شرطى مكتبة فى طفولتك ويجب أن تراه .. يجب .. لو أردت أن تنقذ (سارة) من (أرديليا) ..

إنه يجتاز المكتبة .. يمر جوار شرطى المكتبة .. ليس شاحباً لكنك لا ترى عينيه لأنه يضع عوينات سوداء .. هناك ندبة تكسو أنفه وتمتد تحت عينيه ..

احترس .. هذا ليس شرطى المكتبة .. بل هو الذئب !

لكن (سام) الصغير الأبيض لا يسمع .. إن الرجل يعترض طريقه ثم ينحنى ليسأله :

« أهلاً يا فتى .. هل قرأت هذا الكتاب ؟ »

« نعم .. إنه كتاب جميل مليء بالمعارك .. كتبه رجل يدعى (ستيفنسون) .. رجل مات بالدرن »

لم عينك كبيرتان هكذا يا جدتى ؟

« هل انتهت فترة استعارة كتابك ؟ »

« فقط أربعة أيام يا سيدى .. »

ينحنى الرجل أكثر ويقول :

« أنا شرطى المكتبة .. تعال معى .. »

حاول الهرب .. لكن لا .. هذا الرجل يمثل السلطة .. الحكومة .. أنت لا تستطيع الفرار من الحكومة فهي فى كل مكان ..

يد الرجل تلتف حول (سام) .. يده قوية جداً .. هل أنا فى مشكلة يا سيدى ؟ يقولها أملاً ألا يقول الرجل نعم .. نعم .. أنت فى مشكلة ..

يقترده إلى الغابة بجوار المكتبة .. عندما يأمرك الشرطى بشيء فعليك أن تمتثل .. يهزه بعنف كى يخرس .. سوف اطلب أمك وأخبرها كم أنت شرير .. أرجوك لا تفعل .. سادفغ للفرامة !

شرطى المكتبة يصفعه ويضربه ويركله حتى يسيل الدم من فمه .. يضربه .. يضربه .. يصفعه .. لا بد أن (سام) لم يعد (سام) الصغير الأبيض بل صار (سام) الأحمر ..

(سام) يبكى ويقول : سيدى .. هل دفعت الفرامة ؟ هل هذا كاف ؟ هل استوفيت حقك ؟

« لا .. لكنى أشفقت عليك .. لو تكرر هذا لعدت وضربتك من جديد .. لا تدعنى أراك هنا أبداً يا بنى .. فهمت ؟ »

لكن العذاب لم ينته .. سوف يظل (سام) يرى شرطى المكتبة فى كل مكان .. لو نظرت للسماء لراى وجهه فى السحب ملتويًا مشوهاً ..

« لا تنس .. عندما ينسى الأولاد السنين وعدهم
لشرطى المكتبة أقتلهم ! »

يحاول (سام) أن يركب بلا جدوى .. سوف يحتاج
إلى أعوام حتى يجد الدموع ليترك على أى شيء ..
ولن يدخل المكتبة .. لن يدخل أية مكتبة للأبد ..

شرطى المكتبة موجود وفي كل مكان .. يراه فى كل
لحظة ..

سوف يطارده للأبد فى كل كوابيسه حتى وإن نسي
(سام) القصة .. سوف يظل (سام) يسأل فى قلق :
أترانى قد صُفح عني ؟ أترانى استوفيت الغرامة يا
سيدى ؟

فتكون الإجابة أبداً هي لا .. ليس بعد ...

★ ★ ★

الفصل الرابع عشر

المكتبة

١

كان الهبوط فى الحقل الذى يسميه (ديف) (مطار
بروفيريا) مرعباً .. وانتفض (سام) مذعوراً لكن
(ناعومى) مدت يدها برغم الحزام لتضعها على كتفه
.. كانت تنتظر هذه اللحظة .. كانت قد هدأت من روع
سكارى كثيرين فى ٨٨ فى لحظات هياجهم العصبى
وتعرف ما يجب عمله ..

« (ناعومى) ! يا له من كابوس !! »

وبدأ المطر ينهمر على جسم الطائرة كما توقع
(سومز) الذى كان يعوى فى الميكروفون ..

سألت (سام) :

« هل كان هذا شرطى المكتبة ؟ شرطى مكتبك ؟ »

« نعم .. »

- « وهل عرفت من هو ؟ »

بعد صمت طويل قال :

- « نعم .. »

٢

كانت الساعة والرابع الآن .. والمطر ينهمر بغزارة .. عرض عليهما (سومز) أن يدخل دارة لشرب القهوة والتهام فطيرة تفاح ، لكن (ناعومي) قالت في إصرار إن الأمر مهم .. يجب أن يرحل فوراً ..

قاد (سام) سيارة (ناعومي) في طريق العودة وهو يفكر قلقاً في (ديف) ، لكن الخروج عن الطريق وقلب السيارة لم تكن الطريقة المثلى لإبداء الاهتمام .. المطر غزير والمساحات لا تقدر على التعامل معه ، دعك من أن الكشافات بدأت تتراقص ..

- « لا اعتقد أننا سنكون هناك في الثامنة »

- « حاول جهدك يا (سام) .. »

لقد صاروا يتحركان بسرعة عشرة أميال في الساعة .. واستمر في القيادة بحذر حتى دخلا المدينة .. كان

روايات مصرية للجيب .. روايات عالمية ١٣٥

ينظر لها بطرف عينه ، فدهش لأنه لم يدرك جمالها من قبل .. لقد تودد لها من قبل لكن لم يفعل ذلك لأنها راقته له .. بل لأنها كانت وحيدة وفي بلدة صغيرة .. العزاب في بلدة صغيرة يجب أن يتوددوا لبعض .. أما اليوم فهو يراها حقاً .. يجدها جميلة حقاً ..

أما هي فكانت تنتظر له ..

لم تعد نظراته خفية .. يبدو لها كأنه إنسان أتاحت له فرصة العودة لأسوأ كولبيسه منجماً بالسلاح هذه المرة .. هذا وجه يمكن أن تحبه ..

قال لها :

- « أريد التوقف عند متجر (بيجلي وبيجلي) .. »

- « هل تجد الوقت مناسباً لهذا ؟ وقتنا ضيق .. »

- « هناك شيء بالغ الأهمية .. »

ثم ترجل ورائه يتجه لكابينة هاتف .. لا بد أنها ذات كابينة الهاتف التي اتصل منها (ديف) بنائب الشريف يطلب منه إبعاد ابنته .. هذه المكالمات لم تقتل أريديا لكنها أبعثتها ..

(سام) يقف فى الكابينة والنور يضاء ..

يبحث فى الأرض حتى يجد لفافة صغيرة .. فتحتها فوجد أنها خاصة بحلولى الربموس .. هنا سمع صوت بوق السيارة الذى ضغطت عليه الفتاة تستدعيه ، فدرس الورقة فى جيبه وغادر الكابينة ..

٣

بدا العامل فى (ويجلى بيجلى) كأنه شاب جموده عام ١٩٦٩ ثم نوبوه هذا الأسبوع .. شعره طويل مربوط بشريط وعيناه توحيان بالمخدرات .. وتحت مريولة العمل كان قميصه مشجراً مليناً بأزهار زاهية ..

نظر الفتى فى حيرة إلى (سام) وهو يتجه إلى العامل لينتقى عشرين كيساً من حلولى الربموس ..
وسأله فى استمتاع :

- « هل أنت واثق من أن هذه لكمية تكفيك يا (جدع) ؟
هناك صندوقان فى المخزن .. أعرف كيف يشعر المرء عندما يتوقى إلى أية تصبيرة »

- « هذا كاف فأحسبه لى لأنى متعجل .. »

ثم مد يده والنقط (أستك) مطاطياً وجدده جوار آلة الحساب فلفه حول معصمه .. تدلى الأستك رخواً كالسوار .. ثم نقد الفتى ثمن الربموس ..

- « هذه الأشياء كانت أرخص عندما كنت طفلاً .. »

- « نعم .. التضحّم يشفط الكل يا جدع .. هل تحب هذا الربموس ؟ »

- « لا .. إنه هدية لشخص ما .. أنا أكره طعمه »

كانت هناك نظرة على وجه (سام) وهو يلفظ هذه الكلمات جعلت الفتى يتراجع خطوة .. وقرر (سام) أن يدرس الحلوى فى جيبه ثم يعود إلى السيارة ..

٤

قلدت (ناعومى) السيارة إلى المكتبة .. بينما أخرج (سام) الكتابين من كيسهما . كل هذه الضوضاء من أجل كتاب انتهى عهده .. لكن ليست هذه القصة بالضبط .. لم يكن للكتب دور فى القصة قط ..

لف الكتابين بالأستك المطاطى ثم دس ورقة بخمسة دولارات بين الكتابين ، فسأله الفتاة :

- « ما هذا ؟ »

- « غرامة التأخير عن هذين الكتابين .. وغرامة
تعود لمرة قديمة .. كتاب قديم لم أرجعه فى طفولتى »

ثم فتح أحد أكياس الحلوى وشمها بعنف .. شعر
بالرائحة تتسرب إلى منخريه ثم تتكور فى معدته كأنها
لكمة .. توقع أن يفرغ معدته لكن هذا لم يحدث .. ثم
بدأ يفرغ باقى الأكياس ويكومها فى حجره .. هنا
توقفت (ناعومى) بالسيارة وهتفت :

- « (سام) .. ماذا تفعل بالله عليك ؟ »

ولأنه لم يكن يعرف ما يفعله قال :

- « لو كان الخوف هو اللحم الذى تأكله (أرديليا)
فإن نقيض الخوف هو سمها .. »

- « أنا متأكدة من أن نقيض الخوف ليس حلوى
الريسوس .. »

- « من قال هذا ؟ كيف تعرفين ؟ مصاصو الدماء
فى القصص تقتلهم الصليان .. شرطى المكتبة سلبنى

روايات مصرية للجيب .. روايات عالمية ١٣٩

كل شيء .. سلبنى الأمن والأصدقاء والحب .. هذه من
الأشياء التى كنت أحبها .. كنت أحب الريسوس .. الآن
لا أستطيع تحمل رائحته .. »

ثم راح يدعك قضبان الريسوس بين يديه حتى
حولها لعجينة مقرزة .. اللون الأسود لوث يديه ..
لكنه استمر .. الآن يتذكر طفولته وكيف ضربه ضرباً
مبرحاً رجل مختل عقلياً كان يدعى أنه شرطى .. برغم
هذا (سام) محظوظ لأن هذا المجنون كان يمكن أن
يفتك به ..

من بعيد يرى مكتبة البلدة .. بينما تقول الفتاة :

- « أعتقد أن نقيض الخوف هو الصدق
والإيمان .. »

فكر قليلاً ثم قال :

- « ليس سيئاً .. حتى لو لم يصلحاً فمن الخير أن
يكونا كذلك .. لقد وصلنا ! »

وقفوا فى الظلام والمطر يرقبان آخر من يغادرون المكتبة .. رأى مستر (برايس) يغادر المكتبة ويركب سيارته (الإمبالا) ورأى الفتاة (سنثيا) التى قابلها عندما جاء للمرة الثانية .. ثم ساد الصمت ..

لم يعد من أحد سواء و(ناعومى) .. سواءها والمكتبة وربما (أرديليا) ..

المطر يشتد ومعه الريح .. لدرجة أن السيارة الداتسون راحت تهتز .. وهوى غصن شجرة محدثاً صخباً ، فقالت الفتاة :

- « رياه ! »

- « أنا نفسى لست مفتوناً بهذا الجو .. »

أضواء الصوديوم ترسل ضوءاً غريباً كئيباً فى الظلام .. مع تأثير المطر والريح ، وشعر (سام) بأنه سيرى شرطى المكتبة الآن من وراء الزجاج :

- « تعال معى يا بنى .. فأنا شرطى .. »

هوى غصن آخر ثقيل .. فصرخت الفتاة وجاوبتها الريح بالصراخ ..

فجأة رأى (ديف) يبرز لهما قرب الباب الخلفى للمكتبة ، وكان يلوح بذراعيه وقد امتقع وجهه وبدأ فى أسوأ حال .. قال (سام) :

- « (ناعومى) .. (ديف) هناك .. »

قالت وهى تفتح باب السيارة :

- « يا للهول ! يبدو فى أسوأ حال ! »

لكن الباب انطلق بفعل الريح فدفعته بكتفها لتسقط على الأرض فى الماء وشعرها يرقص فى عاصفته الخاصة حول رأسها .. من أين جاءت هذه العاصفة العاتية ؟ إنها عاصفة أرديليا على الأرجح ..

غادر (سام) السيارة بدوره ، ثم تذكر أنه يحمل الريموس لكن ليس الكتب .. هكذا عاد وجاهد حتى فتح الباب واسترد الكيس .. هنا شعر بأن الضوء يتبدل ..

أضواء الشارع ذات الصوليوم تبدلت لتصير أضواء فلورسنت عتيقة .. تبدل شكل المكتبة وصارت محاطة بنبات الصفصاف ..

مرحباً بالعام ١٩٦٠ .. كذا فكر (سام) .. ونظر إلى حيث كان (ديف) يصرخ :

- « إنه الرجل الذى وصفته يا (سام) .. شرطى المكتبة ! إنه هنا .. »

فى اللحظة التالية برزت يد وضعت على كتف (ديف) وشدته إلى الداخل ..

أمسك (سام) بمعصم (ناعومى) وجذبها إلى بناية المكتبة ، فما أن دخلا حتى انغلق الباب بفعل الريح خلفهما ..

٦

كانوا الآن فى مكان معتم .. ليس مظلماً لكنه معتم .. وكانت هناك أباجورة على منضدة أمين المكتبة تلقى ظلالاً خافتة .. فى ركن القاعة يقف شرطى المكتبة ممسكاً بعنق (ديف) فى وضع (نلمسون) الذى يمنعه

من الحركة ، وقد صارت قدماء مرتفعتين ثلاث بوصات عن الأرض ..

- « لا تقربا خطوة وإلا هُتمت عنقه كالدجاجة .. »

كان ظله يتراقص على الجدار ، وفكر (سام) فى أنه لم يكن له ظل من قبل .. ما معنى هذا ؟ ربما صار الشرطى أكثر واقعية الآن .. إن الشرطى هو أرديليا وهو الرجل الذى يقود السيارة التى خطفت الصبى .. فقط يبدل الوجوه كما يبدل الصبى أفعى الهالوين ..

بنا منه (سام) خطوة وقال :

- « هل نصدق أنك ستبقيه حياً لو لم نقرب ؟ »

تراجع الشرطى خطوة لدهشة (سام) وهتف :

- « أنا أنترك !! »

- « إن مشكلتك ليست معه بل معى .. فلنتنه الأمر ! »

- « ليكن ! »

وطوح الشرطى جسده (ديف) إلى الجدار فهوى كأنه كيس غسيل .. حاول أن يتلافى الصدمة بلا حملس لكنه

ارتطم بمطفأة الحريق وسمع (سام) صوت تهشم العظام
الكليب .. سقط (ديف) وسقطت المطفأة الصلابة فوقه ..

- « (ديف) !! »

صرخت (ناعومى) وهرعت نحو الرجل فقط ليمسك
شرطى المكتبة بذراعها .. وللحظة توارى وجهه وراء
شعرها بندقى اللون .. كأنه يلثم مؤخر عنقها .. ثم أبعد
وجهه عنها وسعل ..

التقط (سام) كتاباً ثقيلاً من جاتبه والقاء فى وجه
شرطى المكتبة .. طار الكتاب ليضرب الرجل فى وجهه
فصرخ غضباً .. تحررت منه (ناعومى) وركضت نحو أحد
الرفوف المرتفعة .. وصلت إلى (ديف) فتمسكت به ..

قال (سام) :

- « مشكلتك ليست معها هي الأخرى .. »

- « كان يجب أن أقتلك أولاً .. »

صارت عيناه ثقيبين أسودين كأنه خلد .. ومشى نحو
(سام) محدثاً صوت احتكاك غريباً على الأرض .. نظر

(سام) للأرض فوجد أن معطف الرجل يزحف على
الأرض خلفه .. لقد صار أقصر !!

لوح بالكتابين وصاح :

- « هذان كتابك ! خذهما ! ومعهما الغرامة !.. »

صاح الرجل :

- « كلا .. هذان ليسا الكتابين اللذين أخذتهما !! »

طوح (سام) بالكتابين فى وجه الرجل فهشم
نظارته .. ومكان العينين رأى فجوة سوداء مقبلة
امتلات بالنسيج .. وتذكر كلمات (ديف) عن أن الرجل
يصنع شرنفته الخاصة .. قال لنفسه : أنا لم أر عيني
الرجل الذى ضربنى لذا لم ترها هي الأخرى ! لقد بدأ
الرجل الذى جاء من ملصق (ديف) ومن ذكريات
(سام) الأليمة يتحول إلى قزم ..

وجه ركنة للرجل وركلة أخرى .. من أجل الأطفال
الذين ضربتهم أنت والذين التهمتهم هي ..

ثم مد يده يمسك به من المعطف فأدرك أنه ليس معطفًا .. إنه جلد رخو واسع له ملمس كيس الشاي المستعمل .. جذب يده في رعب وأطلق صرخة .. وفجأة سمع ضحكة امرأة تدوى :

- « تأخرت يا (سام) .. تأخرت ! لقد عادت (أرديليا) !! »

واهتزت بناية المكتبة .. ثم انطفأت الأنوار !

٧

ساد الظلام ووسطه كانت ضحكة (أرديليا) تدوى .. جرى نحو (ناعومي) التي كانت راکعة جوار (ليف) ووجهها شاحب ممتقع .. فقالت له :

- « أظن أنه يموت يا (سام) .. »

كان هذا واضحًا وصدر الرجل يغلو ويهبط متحشرجًا والدم ينزف من رأسه .. في هذه اللحظة طار كتاب عملاق هو الحجم الكبير من قاموس أكسفورد

نحوهما ، فارتميا على الأرض بينما ارتطم الكتاب الذي يزن سبعة أرطال بالجدار .

وخلف خزانة الكتب المقلوبة بدا أن شيئًا ما يتكون .. شيئًا عملاقًا يتخذ شكلًا وهينة ..

همست الفتاة :

- « عليك بها يا (سام) .. عليك بها ! »

قال وهو ينهض نحو المكتبة :

- « سأحاول .. سأحاول »

٨

أفزعه الراحة .. راحة الالفندر ممزوجة برائحة الكتب العتيقة ..

اجتاز المسافة نحو المكتبة وهو يعصر كرة حلوى الربموس في يده بعصبية .. يمشي وسط مئات الكتب المبعثرة هنا وهناك .. يسمع صوت قدميه على مشمع الأرضية ..

- « أين أنت يا (أرديليا) ؟ لو كنت تريدني
فلتخرجي لتظفري بي »

سقطت فوقه كومة من الكتب من أعلى فتمنص ليفلت ..
هنا سقطت مجموعة أخرى وسمعها تضحك .. ما حدث
بعد هذا لم يتعمده (سام) لأنه تعثر وأوقع جبلاً من
الكتب .. عندما سمع صراخها أدرك أن الجبل سقط
فوقها بالذات ..

نظر إلى مصدر الصراخ فرأى (أرديليا)
الحقيقية .. بالفعل كانت شقراء زرقاء العينين ،
لكن هذا هو الشبه الوحيد بينها والبشر .. فيما عدا
هذا كانت مسخاً مخيفاً ضخماً فيه شبه مقرز بالخنفسة
.. وكان المسخ يحاول التحرر من الكتب التي أحاطت
به ويصرخ .. لكن (سام) لم يشعر برعب .. على
الأقل هو يراها الآن حقيقة فلم تعد مجرد أسطورة
مخيفة ..

ومن بين العينين برز شيء يشبه خرطوم الفيل
فتباعدت العينان لتفسح مكاناً له .. خرج ذلك الممص
الطويل يتلمس طريقه حتى لمس (سام) .. أجفل
الأخير وقد أدرك قوة هذا الشيء ..

شعر بدوار وللحظة شعر أنه من الخير له أن يقف
ثابتاً ويدع الشيء يحدث ..

بدا كأن الكائن كله يتحول لذلك الممص .. باقى
جسده لم يعد ذا نفع وصار يتدلى من وراء الأكتيوب
اللحمي الكبير .. برغم كل شيء كان هذا لطيفاً ..
سوف يمتص وجوده كله .. سيأخذ كل ما هو (سام)
إلى داخله ..

ركع (سام) على ركبتيه ليمسح للشيء بتحسس
وجهه .. شيء يسيل من جانب عينيه .. ليس دموعاً
.. لكن الشيء يمتصه ..

الغرامة قد دفعت .. الغرامة قد دفعت .. لم تعد
مدينة لى بشيء ..

بما تبقى فيه من قوة مد يده لليمنى بمسك بالممصص ..
كان ملمسه شنيئاً بسبب وخزات في الجلد ، لكنه تمسك
به وقال :

- « جلبت لك هدية أيتها القذرة .. جلبتها معي طيلة
الطريق من (ساتت لويس) لهذا .. إليك ! »

وغرس كرة الربسوس في طرف الممصص .. ذات
مرة رأى أولاداً يسدون بالصلصال شاكمان سيارة
صديق لهم فكادت السيارة تنفجر .. لقد فعل الشيء
ذاته ..

حاول الشيء التملص لكن (سام) تمسك بقوة ..
ووجد لرعبه أن الشيء ينتفخ وينتفخ .. كرة شاطئ
مكسوة بالشعر ..

عرف (سام) ما سيحدث وغطى وجهه ..

كميات هائلة من اللحم انفجرت في كل صوب وغطى
الدم ذراعى (سام) وصدره . صرخ من النشوة
والتقرز .. بينما عادت أضواء الطوارئ تنير المكان .

وفي الخارج سكنت العاصفة وراح مطر هادئ
ينساب على السقف ..

نهض على ساقين لا تقويان على شيء وزحف إلى
حيث كانت (ناعومي) تجلس جوار (ديف) .. لاحظ
أن مظفاة الحريق معلقة في مكانها كما كانت وإن كان
مقبضها مرسوماً بوضوح على خد (ديف) ..

قال (ديف) بصوت مبجوح :

- « لم يكن هذا سيئاً .. »

فهمت الفتاة وهي تنهض :

- « سأطلب الإسعاف .. »

لكن (ديف) اعتصر يدها ليوافقها وقال :

- « ليس بعد .. هناك أشياء يجب أن أخبرك بها يا

فتى .. تعال هنا بقربي »

وقرب فمه من أذن (سام) وهمس :

- « إنها تنتظر .. تذكر .. هي تنتظر .. »

- « ماذا ؟ »

لكن (ديف) لم يرد .. ظل ينظر نحو (سام) .. عبر (سام) .. وهتفت الفتاة في دعر أنها ستطلب الإسعاف حالاً ، لكنها نظرت لوجه (ديف) فقرأت أن إحدى هدفتيه قد ضاقت حتى صارت كراس دبوس والأخرى اتسعت عن آخرها ..

بدأت تبكي .. وضعت يده على خدها وأغمضت عينه .. رجع (سام) متألماً جوارها وطوق خصرها ..

* * *

الفصل الخامس عشر

شارع الزاوية

١

لم ينام (سام) ليلتها ولا الليلة التالية لها .. رقد في الفراش وكل الأكوام مضاعة .. وراح يتذكر كلمات (ديف) : « إنها تنتظر » ..

وبدا يعتقد أنه يفهم ما أراد العجوز قوله ..

٢

كانت الجنائز هادئة .. وفي (شارع الزاوية) حيث حفل التآبين ، تناثر أصدقاء (ديف) يأكلون ويتكلمون عنه ويضحكون .. من الواضح أنهم كانوا يحبونه برغم كل شيء .. بينهم مشى (سام) ويداه في جيبه .. كان يعتصر قطعة من حلوى الربسموس ويكورها ..

لقد فر (سام) و(ناعومي) من المكتبة وأجرى اتصالاً بالشرطة .. ووضع السماعة قبل أن يسألوه من

يكون .. وجد البوليس جثة (ديف) فى المكتبة لكن كل علامات العنف قد زالت .. وهكذا افترض الجميع أنه مجرد حادث .. حادث سقوط يمكن أن يحدث لأى سكير .. لا بد أنه دار حول المكتبة فوجد بابها مفتوحاً .. مشى فى الظلام فاصطدم بمطفأة الحريق .. نهاية القصة .. صحيح أن الطب الشرعى لم يجد نقطة كحول فى دم الرجل لكن هذا لم يغير شيئاً .. الناس تفترض أن السكير يجب أن يموت كسكير ..

لم تكن (سارة) ضمن الموجودين .. أخبرت الناس أنها ستكون فى المكان الذى يعرفه (سام) .. خطر له أنها قد تكون فى المكتبة لكنه استبعد هذا ..

لا .. ستكون على الأرجح فى الحديقة التى رآها فيها عندما كانت تحضر اجتماع AA ..

وجدوها هناك تقف وحيدة فمشى نحوها .. كانت غالية فى الشحوب وقالت له :

- « هذا شنيع يا (سام) .. لم أعد أستطيع النوم ولا الأكل .. ذكريات شنيعة تطاردنى .. والأسوأ هو

رغبتي فى الشراب .. جلسات AA لم تعد تفيدنى للمرة الأولى .. »

قال لها :

- « هذا سيسعدنا .. أنت تعرفين أنها تنتظر .. ولا بد أن تأكل .. انظري لهذا »

ثم فتح يده فى وجهها فأجفلت .. نظرت لمحتوى يده فرائت كرة الريبسوس الحمراء .. قالت فى كراهية :

- « تخلص من هذه ! »

وبدت نظرة معدنية فى عينيها ..

عندما أمسك بها شرطى المكتبة بدا كأنه يلصق وجهه بها . ثم أطلق سراحها وسعل .. كيف كانت (أرييليا) تنتقل من شخص لآخر ؟ عندما أحاط (سام) خصرها بيده فى المكتبة بدا متخشياً غريب الملمس .. إنها تنتظر .. (ديف) كان يعرف أكثر ..

قال لها (سام) :

- « أنا أحبك يا سارة .. أوجه كلامى لك لا لها .. »

قالت وهى تتحسس شعرها فى وهن :

- « نعم .. أعرف أنك تحبنى . لكن ربما كان من

الأفضل أن تتعلم ألا تفعل .. »

- « هل حقاً تريدان أن أرحل ؟ »

هنا انفجرت باكياً :

- « (سام) .. أرجوك .. لا أعرف ما حل بى ..

ساعدنى .. أنا خالفة ! »

ثم فجأة تكورت شفتها العليا لتتحول لشيء شبيه

بالممص .. وقالت :

- « اذهب للجحيم يا (سام بيلز) .. اذهب

للجحيم !! »

أمسك بكتفها وقال :

- « لو نظرت للوراء لرأيت قطار البضاعة الذهاب

إلى أوماها .. سوف يمر أمامك .. أريد أن تنظرى له

بثبات .. »

قالت باكياً :

- « ليكن يا (سام) .. بوسعك أن تدفعنى تحته وسوف

يعتقد الناس أننى انتحرت .. كل الناس رأوا أننى لم

أعد على ما يرام .. سوف يصدقون كل شيء .. » :

- « لا أكلمك عن الانتحار يا حمقاء .. فقط أريد أن

تنظرى للقطار وتتلقى بى .. »

استدارت بينما القطار يمر من بعيد قادمة نحوها ..

فرفع الشعر عن مؤخرة عنقها .. ورأى ذلك الشيء

هناك وسط لحم عنقها .. كان يعرف أن جذع المخ يبدأ

تحت ذلك الموضع فتقلصت معدته .. ذلك الشيء الذى

يشبه الجبلى والمغطى بنسيج العنكبوت ، والذى ينبض

مع نبضات قلبها ..

- « هل ترين أرقام العربات يا (سارة) ؟ »

- « نعم »

- « اقترئها بصوت عال »

ومد يده يصنع عجينة من الريبسوس الذى كان فى جيبه ثم أخرجها ، وألصقها بذلك الورم المخيف فى مؤخرة عنقها ..

- « خمسة .. ستة .. سبعة .. »

ومن جديد مد يده وراح ينتزع العجينة التى التصقت بالسهم .. سم (أرييليا) .. خرج الشيء ملتصقا بالعجينة ، وفى مؤخرة عنق (سارة) رأى ثلاثة ثقوب لا تزيد على حجم رأس دبوس .. لقد ولى ! لكن ليس بعد .. كرة الريبسوس تتلوى فى يده وهناك فقاعة تحاول الخروج منها ..

اتجه لقضيب القطار وألصق العجينة .. وابتعد وهو

يهمس :

- « وداعا أرييليا ! »

وفى اللحظة التالية اندفعت فوق العجينة الملتصقة بالقضيب أطنان الحديد التى تشكل قطار الساعة ٢:٢٠ إلى أوماها ..

التصقت به (سارة) وقد صارت مزيجاً من الرضا والارتياح بينما القطار يتعد وشعرها يطير فى اتجاهه .. هل تحررت حقاً يا (سام) ؟

- نعم تحررت .. لقد دفعت - غرامتك !

- « هلا عدنا للداخل حتى لا يقتل أصدقاءك ؟ »

- « يمكن أن يكونوا أصدقاءك يا (سام) لو أردت هذا .. »

مد يده لها وعادا إلى الداخل .. ذراعاً فى ذراع .

ستيفن كينج

